أبو الحسن علي الحسني الندوي

كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب؟

مشاعر وأحاسيس ودراسات وملاحظات

الطبعة الثانية
١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م

دار الاعتصام

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف النبيين ، وخاتم المرسلين : محمد وآله وصحبه أجمعين ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

أما بعد ، فمن المعلوم المقرر أن مركز الحجاز – الذى فيه الحرمان الشريفان – ومركز جزيرة العرب – التى فيها الحجاز – فى العالم الإسلامى ، مركز القلب فى الجسم الإنسانى ، الذى إذا عاش وقوى ، وأدى رسالته فى الجهاز الجسمى والنظام الحيوى الصحى ، عاش الجسم وقوى ، وإذا دب الوهن إلى هذا القلب أو اعتل ، وتخلى عن وظيفته ودوره ، أسرع إليه الموت ، واستولت عليه الأمراض والعلل وعجز الأطباء الحاذقون عن إعادة الحياة إليه بالطرق الصناعية ، وقد أشار إلى هذه الصلة الدقيقة العميقة بين القلب والجسد ، الحديث الصحيح المشهور الذى جاء فيه : « ألا إن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب »(١) .

وذلك لأن الحجاز مهبط الوحى ، ومبعث الإسلام ، ومصدر

---

(١) حديث متفق عليه .

الدعوة الإسلامية ، ومركز الإسلام الدائم ، وعاصمته الخالدة ، وهو البلد المثالى ، والمقياس الصحيح الدائم للحياة الإسلامية وتعاليم الإسلام العالمية ، وصلاحيتها للبقاء والتطبيق ، وظهور المجتمع الإسلامى فى حيويته وأصالته ، وجماله وقوته ، فالرسالة الإسلامية مهما كانت عالمية آفاقية لابد لها من مركز يعتبر مقياساً وميزاناً لعمليتها وواقعيتها وأسوة وقدوة لجميع المدن والقرى والمجتمعات التى تؤمن بهذه الرسالة ، وتحتضن هذه العقيدة والدعوة .

والإنسان مفطور على البحث عن المقياس الصحيح والبلد المثالى ، والموئل الذى يأوى إليه ، والمصدر الذى يستمد منه القوة والثقة ، والحماسة والاندفاع ، سواء فى الأديان والشرائع والنظم والفلسفات والحضارات والمدنيات ، والآداب والعادات ، واللغات واللهجات ، والأناقة والثقافة ، وسلامة الذوق ورقة الشعور ، فكان لكل دين مركز يحتج بعمله وأعرافه ، وكان لكل حضارة بلد مثالى أو عاصمة أو قاعدة يستدل بأساليب الحياة فيها والأنماط المدنية والمثل الاجتماعية فى نواحيها ، ولكل لغة وأدب مركز يستند إليه فى معرفة الصحيح الفصيح من التعبير والبيان ، ومناهج اللغة والكلام ، والحكم على المفردات واللغات ، بالصحة والخطأ ، ولكل عصر وإقليم بلد مثالى يتظرف الناس ويتنبلون بتقليد عاداته وتقاليده واتخاذ مثله وقيمه أمثلة كاملة للحياة الراقية والأخلاق الفاضلة .

وقد عقد الله بين العرب والإسلام ، ثم بين الحجاز والأمة الإسلامية ثم بين الحرمين الشريفين وقلوب المسلمين ، الأبد ، وربط مصير

أحدهما بالآخر ، وقد حرص رسول الله صلى الله عليه وسلم — وكان في ذلك نبياً ملهماً وحكيماً كل الحكمة — على بقاء هذا الرباط الوثيق المقدس بين جزيرة العرب والإسلام ، فضلا عن الحجاز والحرمين الشريفين . وحرص على سلامة هذا المركز وهدوئه وشدة تمسكه بهذا الدين ، وعضه عليه بالنواجذ ، لأن العاصمة يجب أن تكون بعيدة عن كل تشويش وعن كل فوضى ، وعن كل صراع عقائدى أو مبدئى ، فشرع لذلك أحكاماً بعيدة النتائج واسعة المدى ، وأوصى لذلك وصايا دقيقة حكيمة ، وأخذ لذلك من أصحابه وأمته عهوداً ومواثيق ، وقد ذكرت عائشة أم المؤمنين — رضى الله عنها — فقالت : « كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « لا يترك بجزيرة العرب دينان »(١)، وعن رافع أن النبي صلى الله عليه وسلم « أمر أن لا ندع فى المدينة ديناً غير الإسلام إلا أخرج(٢) ». وعن جابر ابن عبد الله يقول : « أخبرنى عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً(٣) » .

وأخذ بذلك الخلفاء الراشدون المهديون ، فكانوا ينظرون دائماً إلى جزيرة العرب كمعقل للإسلام ، ورأس مال الدعوة الإسلامية ،

---

(١) رواه أحمد فى المسند والطبرانى فى الأوسط .

(٢) رواه الطبرانى .

(٣) رواه أحمد ومسلم والترمذى وصححه .

وقد جاء فى وصية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — لخليفته « أوصيه بالأعراب خيراً فإنهم أصل العرب ومادة الإسلام(١).

وقد حمل كثيراً من علماء بلاد العجم وأئمتها ، ممن ولدوا ونشأوا فى هذه الديار ، نظرهم إلى العرب كالرائد الأول للإسلام والواعى الأمين لروحه وجوهره ، وإلى اللغة العربية كاللغة التى نزل بها القرآن ونطق بها الرسول صلى الله عليه وسلم ، ولا يمكن التضلع من الثقافة الإسلامية وفهم القرآن فهماً عميقاً دقيقاً إلا بمعرفتها والرسوخ فيها ، حملهم كل ذلك على أن يتعربوا فى كثير من عاداتهم وشاراتهم ، ويحافظوا على اللغة العربية وآدابها ، ويتواصوا بذلك ، ويجعلوها كلمة باقية فى أعقابهم ، ويحذروا من تقليد العجم والتخلق بأخلاقهم ، وما ذاك إلا للحب العميق الراسخ للنبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ولأنه ظهر فى العرب وارتضى الله لهذا الدين المظهر الإبراهيمى العربى فى الأخلاق والآداب والميول .

وقد جاء فى وصية أحد كبار أئمة الإسلام فى بلاد العجم ما يدل على ذلك دلالة واضحة ، قال شيخ الإسلام أحمد بن عبد الرحيم الدهلوى (المتوفى ١١٧٦ هـ) فى رسالته التى أسماها « المقالة الوضيئة فى النصيحة والوصية » .

« نحن رجال غرباء هاجر آباؤنا إلى الهند ، وإن عربية النسب

---

(١) الجامع الصحيح للبخارى — كتاب المناقب .

وعربية اللسان مفخرتان لنا ، وهى التى تقربنا إلى سيد الأولين والآخرين وأفضل الأنبياء والمرسلين ومفخرة الوجود صلى الله عليه وسلم ، ومن شكر هذه النعمة العظمى ألا نتخلى بقدر الإمكان من عادات العرب الأولين وتقاليدهم ، الذين نشأ فيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا نسمح لتقاليد العجم وعادات الهنادك أن تنتشر بيننا » .

ثم قال :

« السعيد منا من حصلت له مشاركة فى لسان العرب والصرف والنحو وكتب الأدب ، واطلع على الحديث والقرآن ، ولابد لنا من حضور الحرمين الشريفين وتعلق القلب بهما ، وفى ذلك سر سعادتنا والشقى من أعرض عنهما »(١) .

والذين أدركوا هذه الحقيقة من علماء الإسلام وقادة الفكر فى العالم الإسلامى رأوا أن ارتباط الأقطار الإسلامية المترامية الأطراف واتصال الجاليات الإسلامية والشعوب المسلمة بجزيرة العرب بصفة عامة ، والحجاز والحرمين الشريفين بصفة خاصة ضرورى ، وأن ارتباطها بهذا المركز ارتباط السواقى والترع بالنهر الكبير الفياض ، وارتباط الأوراق بالشجرة الخضراء ، إذا انقطع كل من ذلك عن أصله ومركزه ، انقطع عنه المدد، وتوقف تيار الحياة الذى يسرى إليه من هذا الأصل وأسرع إليه الجفاف والذبول ، وخافوا إذا حدث

(١) « المقالة الوضيئة فى النصيحة والوصية » بالفارسية طبع دهلى ١٢٦٧ هـ

ذلك ، أن تغيب القوة التي تربط بين الوحدات الإسلامية عقائدياً وعقلياً وحضارياً ، وينشأ إسلام إقليمي : فينشأ إسلام إيراني ، وإسلام تركي ، وإسلام هندي ، وإسلام أفغاني ، وإسلام أوربي ، وإسلام أمريكي ، ويظهر في جانب من جوانب العالم الإسلامي الواسع تحريف ديني أو مسخ للإسلام ، أو تنجح مؤامرة يحوكها رجل ذكي من أعداء الإسلام فلا تمكن مقاومتها والتغلب عليها ، وكان ذلك من حكم مشروعية الحج وأسراره ، لأنه استعراض عالمي للأمم الإسلامية وطبقات الأمة المسلمة على صعيد واحد ووقت واحد ، في رحاب البيت الحرام الذي جعله الله ملتقى المسلمين وقياماً للناس(١) .

ولما كانت الجزيرة والحجاز معقل الإسلام ومبدأه ومنتهاه ، والموئل الذي يأوى إليه الإسلام والمسلمون في ساعات عصيبة وأزمات مختلفة وفي آخر الزمان ، وقد جاء في بعض الأحاديث ما يدل على ذلك .

فعن عمرو بن عوف قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن الدين ليأرز إلى الحجاز كما تأرز الحية إلى جحرها ، وليعقلن الدين من الحجاز معقل الأروية من رؤوس الجبل(٢) » .

وعن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إن الإسلام بدأ غريباً

---

(١) راجع باب أسرار الحج في « حجة الله البالغة » للشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله الدهلوي .

(٢) رواه الترمذي .

وسيعود كما بدأ ، وهو يأرز بين المسجدين كما تأرز الحية إلى جحرها »(١) .

وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها(٢) » .

وعن أبي هريرة – رضى الله عنه – أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها(٣)»

ولما كانت هذه الجزيرة ، وهذه البقاع المقدسة مصدر الإشعاع العالمي الإسلامي ومقياس قوة الإسلام وسلطانه ، كان علماء المسلمين وقادتهم في كل زمن وبلد ، شديدي الحساسية لما يقع فيها من حوادث ولما يجرى فيها من تيارات ، دقيقي الحساب لمدى تمسكها بالتعاليم والآداب الإسلامية ومحافظتها على الروح الدينية والعاطفة الإسلامية كبيرى الغيرة عليها وعلى قيادتها للعالم الإسلامى ، وقد تجلى ذلك فى كتابات علماء الإسلام وأدبهم وشعرهم فى أزمنة مختلفة ، وقد سار قول أشهر شعراء « إيران » وأدبائها : الشيخ مصلح الدين « سعدى » الشيرازى (المتوفى ٦٩١ هـ) مسير المثل ، « إذا بدأت طلائع الفساد والانحراف من فناء الكعبة ورحاب البيت الحرام . فعلى الإسلام

---

(١) (٢) صحيح مسلم ج ١ ، ص ٨٤ ، كتاب الإيمان ، بيان « إن الإسلام بدأ غريباً ، ..إلخ .

(٣) صحيح البخارى ، ج ١ ، ص ٢٥٢ .

والمسلمين السلام » وقد فزع الشاعر الفارسى المسمى بأبى المجد مجدود الغزنوى المعروف بالحكيم السنائى (المتوفى ٥٤٦ ﻫ) لحوادث جرت فى عصره ، ولتسرب نفوذ بعض القوى المعادية للإسلام إلى جزيرة العرب ، وإلى البقاع المقدسة ومركز الإسلام ، فأشار إلى ذلك فى قصيدة له ، وحسب له كل حساب ، وحذر العالم الإسلامى من سوء عاقبته ، وأثار غيرة أهل الحجاز وأبناء الجزيرة(١) » .

واعتبر المسلمون فى كل بلد مهما تباعد عن مركز الإسلام ، وتشاغل بحوادثه وقضاياه ، صيانة هذا المركز عن نفوذ أعداء الإسلام والقوى المعادية له ، أقدس واجباتهم ، وأعظم مسئولياتهم ، وفضلوها على كل قضية وطنية ، ومصلحة إقليمية أو شعبية ، وقد كان لمسلمى الهند دور رائع فى هذه الغيرة والحماس ، والتفانى للجزيرة والحرمين الشريفين والاهتمام بقضاياهما ، وسير الحوادث فيهما ، وقد عارضوا تدخل الإنجليز والحكومة البريطانية فى شئون هذه الجزيرة ، وفى الحرمين الشريفين ، معارضة شديدة عرضتهم لسخط الحكومة الإنجليزية فى الهند وتهديداتها ، وأثارت حيرة مواطنيهم الهنادك ، واستغرابهم وتهكمهم فى بعض الأحيان ، فلم يبالوا بكل ذلك ، وشكلوا جمعيات للدفاع عن الحرمين الشريفين وجزيرة العرب وحريتها

---

(١) راجع ديوان شعره ، وقد اقتبس منه شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال شطر بيت فى القصيدة التى قالها على قبر السنائى فى « غزنى » وهو قوله : « كرفته جينيان أحرام ومكى خفته دربطحا » .

وسلامتها ، ولا يزال بيت شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال يدور على الألسنة والأقلام ، ومعناه :

« يجب أن يكون المسلمون صفاً واحداً لحراسة الحرم ، ومن شاطئ النيل إلى أرض كاشغر » .

بالعكس من ذلك كان الغربيـــون ، وفى مقدمتهم القسس والمستشرقون ، شديدى التخوف من ارتباط قلوب المسلمين فى العالم بهذا المركز الإسلامى العالمى والتفاف المسلمين حوله واهتمامهم بقضاياه وشئونه ، شديدى الكراهة له ، وتحذير الحكومات الغربية له ، جاء فى تقرير مؤتمر مبشرى البلاد الإسلامية من البروتستانت الثانى العام فى مدينة لكهنؤ ، الهند — فى يناير سنة ١٩١١ ما يلى :

« و تكلم بعده (يعنى بعد القسيس ورتز) سيمون عن حركة الجامعة الإسلامية فى ماليزيا ، فقال : يزعم بعضهم أن الإسلام فى الهند تنقصه الحياة ، وأنه غير مرتب ، وأنه صبيانى ، ولكن يجب علينا أن لا ننسى ارتباط الإسلام فى الهند بمكة وهذا الارتباط يدعو سكان جزائر ماليزيا إلى الاعتقاد بأنهم جزء من مجموع كبير . . .(١) »

وقد تكلم فى هذا المؤتمر قسيس ورتز عن الجامعة الإسلامية فى أفريقيا فقال : « إن مدينة مكة والطرق الصوفية هما من أكبر العوامل

---

(١) راجع « الغارة على العالم الإسلامى » تأليف . ل ، شانليه ، تلخيص وترجمة مساعد اليافى ومحب الدين الخطيب ص ١٠٥ .

على بث شعور الوحدة بين المسلمين ، والنفرة من كل شيء غير إسلامي(١) »

وجاءت في تقرير هذا المؤتمر الذي انعقد في القاهرة سنة ١٩٠٦ م كلمة وليم جيفورد بالكراف ، ما نصها : « متى توارى القرآن والمدينة ومكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربي يتدرج في سبيل الحضارة التي لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه(٢) »

وعدل هؤلاء المبشرون والقسس والمستشرقون — ومن كان على رأسهم من قادة الفكر وولاة الأمور في الغرب — بعد تجارب مريرة دلت على شدة حساسية المسلمين للاستيلاء المباشر على المركز الإسلامي والحجاز والحرمين ، والسيطرة عليه سياسياً وإدارياً ، عن فكرة الحكم المباشر والتدخل السافر الواضح في شئون هذه البلاد ، إلى محاولة بث النفوذ الفكري والثقافي ، والعلمي والأدبي والحضاري ، في الجزيرة والبلاد المقدسة ، وذلك عن طريق منظمة يونسكو والأخصائيين في العلوم والآداب والفلسفة والاجتماع ، والأساتذة والمعلمين ، والخبراء ، وعن طريق المؤتمرات الثقافية ، والندوات العلمية ، وعن طريق البعثات الطلابية ، التي تؤم الغرب وتتلمذ على أساتذة الجامعات الأوربية والأمريكية ، وتنهل من مناهل الثقافة الغربية ، وعن طريق التخطيط المدني والتعليمي ، الذي يجري تحت إشرافهم

---

(١) نفس المصدر ص ١٠٢ .

(٢) أيضاً ص ٥٥٠ .

أو بتوجيهم ، فكان ذلك أخفى من دبيب النمل ، ولم يبلغ المسلمون – مع الأسف – من الوعى واليقظة والفطنة ما ينبههم على دقة هذه السياسة وخطرها ، فلم يحرك ذلك ساكناً فى المسلمين ، ولم يثر فيهم انتباهاً أو اهتماماً ، وكان له تأثير بعيد المدى عميق الجذور فى الحياة والمجتمع .

والمسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها يعتبرون الجزيرة العربية كلها حلقة واحدة وامتداداً لرسالة واحدة ، ولدعوة واحدة ولمائدة واحدة – إذا صح التعبير – فلا يشعرون وهم فى بقعة من بقاعها بأنهم فى حاشية من حواشى هذه الجزيرة بعيدة عن قلبها وعن مركزها ، بل يشعرون بأنهم واقفون فى ظل الكعبة وفى رحاب البيت العتيق فهذه الجزيرة كلها فى تاريخها الجديد الذى يبتدئ من ظهور الإسلام وحياتها ونهضتها الحقيقية ، تدين لمكة وبالأصح لابن مكة الخالد الذى حمل الأمانة المقدسة وأوثر بالرسالة الأخيرة : محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب الهاشمى القرشى صلى الله عليه وسلم ، وكان كثير من السلف إذا وقع بصرهم على أول قطعة من هذه الجزيرة وهم فى طريقهم إلى مكة – وكان الزمن زمن السفن الشراعية – ولو كانت قطعة قاحلة ليس فيها ما يستهوى القلوب ويفتن العيون ، خروا لله سجداً يحمدون الله تبارك وتعالى على أنه فسح فى حياتهم حتى نالوا هذه السعادة وأقروا عيونهم برؤية بلاد العرب ، وقد كانوا يعتبرون

هذه القطعة الأرضية قطعة من قلوبهم(١) .

وبصرف النظر عن هذه الصلة العاطفية الإيمانية بين المسلم وبين جزيرة العرب ، فإن جزيرة العرب هى السور المنيع الحافظ حول الحرمين الشريفين وحول الحجاز ، فلابد أن يكون بعيداً عن التدخل الأجنبي وعن وجود العناصر — سواء كانت جسدية أو معنوية — التى تهدد وحدة هذه الجزيرة الدينية ، لذلك كانت الوصية النبوية بحماية الجزيرة عن اختلاف الديانات والملل غير مقصورة على الحجاز بل كاملة شاملة للجزيرة كما مر سابقاً .

* * *

فسدت الأوضاع فى أوائل هذا القرن (الميلادى) واختلت الأمور فى مركز الإسلام وفى الحجاز والحرمين ، وخضعت هذه البلاد المقدسة للنفوذ الأجنبي — الإنجليزى بالتحديد — فى حكومة الأشراف ، واضطرب الأمن ، وأطبق الجهل ، وضعفت العقيدة ، وشاع كثير من العادات الجاهلية ، وعم الفقر ، وانتشرت الفوضى ، وصعبت ممارسة فريضة الحج وشعائره وأركانه ، لاختلال الأمن ، ووعورة الطرق ، وقلة الماء والغارة على قوافل الحجاج(٢) ، وصعوبة وصول

(١) مقتبس من محاضرة للمؤلف ألقاها فى مسجد على بن أبى طالب فى الشارقة فى ٥ من محرم سنة ١٣٩٥ هـ نظمتها وزارة الأوقاف فى الشارقة وطبعت فى رسالة مفردة بعنوان « خليج بين الإسلام والمسلمين ».

(٢) تحقق عند المؤلف أن الإنجليز كانوا يوزعون السلاح ويهربونه إلى الحجاز ليشوهوا سمعة الحكم التركى ويبرهنوا على فساده وعجزه عن إقامة الأمن فى البلاد المقدسة

الميرة والزاد ، وعجزت الحكومة ، وضعفت الإدارة ، حتى كان الحجاج يشعرون – إذا خرجوا من بلادهم للحج – بأنهم يخوضون معركة حربية ، فيوصون أولادهم بما يهمهم كما يوصى الخارج إلى إلى ساحة القتال ، وقد نشأ الجيل الجديد فى هذه البلاد على الجهل والفقر ، والانقطاع عن العالم ، والتضايق من الحياة .

فكان من خفى تدبير الله تعالى ودقيق صنعه أن قيض آل سعود لإصلاح الأوضاع وإقامة الأمن ، وإنشاء الطرق ، وترفيه البلاد ، وتعليم الأولاد ، وإقامة حكومة قوية ، وإدارة حازمة ساهرة ، وتأمين الطرق وحراسة الحجاج القاصدين لبيت الله ، المقيمين فى ضيافة الله ، وإجراء العيون الدافقة بالماء وتعميمها ، واستخدام الوسائل الحديثة والمستحدثات الصناعية لتذليل العقبات وتسهيل الحياة ، وتوفير المواد الغذائية إلى حد لم يخطر بالبال ، ولم يصوره الخيال قبل عقود من السنين ، وكان هذا البيت السعودى قد قام على الدعوة إلى التوحيد ومحاربة الشرك ، والإصلاح الدينى والخلقى والاجتماعى ونادى به ، ورفع شعاره وضحى فى سبيله . وجازف بحياته وشرفه .

فتوجه المغفور له الملك عبد العزيز بن سعود سنة ١٣٤٢ هـ (١٩٢٥ م) إلى الحجاز منظماً وإدارياً ، ومؤسساً لحكومة كبيرة ، وملك الحجاز ، وضبط الأمور ، وأقام الأمن ، وأمن الطرق ، وقضى على البدو الوحوش المفترسين للحجاج الآمنين الوادعين ، وأخذ على يد الظالم ، ونفذ الحدود الشرعية ، وأخرج للناس نموذجاً من

البساطة والمساواة ، والتقشف فى الحياة ، وأتى بأعمال جليلة تجلت فيها عبقريته وعصاميته كحاكم وإدارى ، وأعجب بها كل من رزق الإنصاف ، واعترف بها كبار المفكرين والمؤلفين من الشرقيين والغربيين .

وكانت بارقة أمل انتعشت بها قلوب المسلمين فى العالم الإسلامى بصفة عامة ، وقلوب المسلمين فى الهند بصفة خاصة — الذين كان هم الحجاز الشغل الشاغل والمقيم المقعد لهم — فحمدوا الله على ذلك ورحبوا بهذا التطور فى شئون الحجاز فى حماس ونشوة .

وكان فى مقدمة هؤلاء المستبشرين من يلتقى مع الحكم الحديث فى الحجاز على عقيدة التوحيد النقى الخالص ، ونبذ الشرك والبدع ، وتطهير الدين مما التصق به من الجهل والخرافة والعادات الجاهلية ، وقد نشأ كاتب هذه السطور فى هذه البيئة الدينية ، وعاش هذه الفترة الزمنية التى كان الحكم السعودى فيها فى الحجاز حديث النوادى والمحافل ، ولا يزال يذكر السرور الذى كان يغمر قلوب المسلمين فى ذلك الوقت ، والآمال الكبيرة البعيدة التى كانوا يعقدونها بهذا التطور الجديد الذى حدث فى الجزيرة وفى الحجاز ، وكان لهم كل حق فى ذلك ، فقد قامت فى الحجاز حكومة اقترن تاريخها بتاريخ الدعوة والجهاد والتضحية والتقشف فى الحياة ، وبتاريخ الدعوة التى بدأها المصلح الكبير الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله عليه ، التى كان لها الفضل فى إيجاد الحماس الدينى الذى كان دائماً أمضى سلاح

وأقوى عامل فى الحروب والغزوات ، وإنشاء الدول والحكومات ، ورافقها تأييد آل الشيخ العلماء الأجلاء فى كل مرحلة من مراحل تاريخها ، وقامت على أكتاف الدعاة المجاهدين ، وعلى أشلاء الشهداء المغامرين .

كل ذلك حمل كثيراً من المخلصين المحبين للبقاع المقدسة أن يدعو لهذه الحكومة بالتوفيق والتأييد ، ويبذلوا لها أفضل ما عندهم من نصح وإخلاص ، وعلم وتجربة ، وطاقة ومقدرة ، فقد واجهت هذه الحكومة الوليدة التى خرجت من قلب الصحراء إلى بلد هو ملتقى العالم الإسلامى ومحط أنظار العالمين : الشرقى والغربى ، وكانت تواجه تجربة من أدق التجارب فى الحكم والإدارة ، والاجتماع والحضارة ، وكانت فى مرحلة انتقالية ، من أدق مراحل الانتقال فى تاريخ الحكومات والحضارات ، فضلا عن تاريخ الأسر والبيوتات : تجربة التغلب على هذه المشاكل السياسية والإدارية والاقتصادية ، والاتصال بالحكومات المجاورة المختلفة ، فى سياستها واتجاهاتها ، تجربة الاقتباس من الحضارة الغربية والعلم الحديث ، والجمع بين روح الدين وجوهره ، والخصائص الإسلامية العربية ، والبساطة التى عرف بها العرب ، وبين روح العصر ومقتضياته .

وكان يتوقف على نجاح هذه التجربة نجاح العملية الإسلامية فى الحكم ومواجهة هذه الحضارة ، وسلامة هذه البلاد المقدسة ومحافظتها على شخصيتها الفريدة ، فكانت فى حاجة ملحة إلى مفكرين إسلاميين

يجمعون بين الإخلاص لهذه البلاد ، وبين حصافة الرأى وعمق الفكر والتجرد من الأغراض والفوائد الشخصية أو الوطنية أو الإقليمية ، وقد قام بعض كبار القادة والفضلاء والمصلحين والمؤلفين ، بتأدية هذه الرسالة فى أساليبهم ومناهجهم الخاصة ، يستحقون عليها الجزاء من الله ، والشكر من كل من يهمه أمر الإسلام والمسلمين فى هذا العصر ، ولكنه حق على كل مسلم ربط الله مصيره بالإسلام وربط مصير الإسلام بهذه البلاد المقدسة ، وقد جاء فى الحديث الصحيح عن أبى رقية تميم بن أوس الدارى رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم(١) » .

إن هذا الحق يحمل كاتب هذه السطور على أن ينشر ما وفقه الله له من كتابة رسائل إلى ملوك هذه الأسرة الكريمة العظيمة التى لها حق وفضل على كل مسلم يحب الله ورسوله ، ويحب هذه البلاد المقدسة وفى مقدمتهم وعلى رأسهم خادم الحرمين الشريفين ، رائد التضامن الإسلامى ، الملك الشهيد المغفور له جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز عليه رحمة الله ، وأصحاب السمو الملكى أمراء هذا البيت ، وأصحاب المعالى وزراء هذه المملكة العزيزة ، وكبار المسئولين ، وقادة الرأى فى البلاد العربية السعودية ، وما ألقاه من محاضرات فى مناسبات مختلفة من مؤتمرات وندوات ولجان ، قياماً ببعض الواجب وتسجيلا لهذه

---

(١) رواه الإمام مسلم فى صحيحه .

الانطباعات والملاحظات ، التى لولا نشرها فى هذا الكتاب المفرد ، لبقيت مغمورة فى الصحف والأوراق ، وذهبت أدراج الرياح ، ولعلها بهذا الطريق تجدد الذكرى ، وتثير الاهتمام ، وتلفت النظر من جديد ، وتدل على مدى ما تتمتع به هذه البلاد من حرية إبداء الرأى وتقبل ما يأتى من مخلص لا يبتغى به غير وجه الله ، بقبول حسن وصدر رحب .

وقد وفق كاتب هذه السطور لكتابة رسائل إلى عدد من أمراء جزيرة العرب أيضاً فى الخليج والكويت ، ولفت نظرهم إلى ضرورة التمسك بحبل الإسلام والتشبث بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الذى أعز الله به العرب ومنح ما منح من دين ودنيا وسعادة وكرامة وأن يكون دورهم فى الانتفاع بالوسائل الحديثة والثروات النابعة من أرضهم دور الأصالة والتجديد ، لا دور التطفل والتقليد ، وضرورة صيانة أطراف هذه الجزيرة وما يلونه من بلاد ، وما يحكمونه من إمارات وحكومات ، عن النفوذ الأجنبى وعن وجود المعابد لغير المسلمين فى ربوعها ، وعن تفاقم شأن الجاليات غير الإسلامية ، فإنه سيحدث مشكلات طريفة معقدة لا يجدون لها حلا فكتب إلى بعض أمراء الخليج وأمير دولة الكويت ، وضاعت أصول أكثر هذه الكتب إلا كتاباً كتبه إلى صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت سابقاً حين كتبت له زيارة هذا القطر لأول مرة فى شعبان سنة ١٣٨١ هـ ، ورأى إلحاق هذا الكتاب التاريخى إلى هذه

المجموعة التي تحتوى على الرسائل الموجهة إلى ملوك المملكة العربية السعودية وأمرائها ووزرائها ، إكمالا للغرض وإتماماً للفائدة .

ونختم الكتاب بحديث أذيع من دار الإذاعة السعودية بمكة المكرمة سنة ١٩٥٠ م – ١٣٧٠ ﻫ بعنوان « من العالم إلى جزيرة العرب » فقد تلخص فيه شعور المسلمين فى العالم عن مركز هذه الجزيرة ورسالتها ومسئوليتها .

ولا بد من الاعتراف هنا والتسجيل لوجه الحق والتاريخ والأمانة ، أن كاتب هذه السطور لقى فى كل هذه المراسلات والأحاديث الشفاهية كرم أخلاق ، ورحابة صدر ، وسعة أناة وصبر ، وبشراً يفيض على الوجه ويغمر المتحدث ويشجعه على الصراحة والاسترسال فى الحديث ، وقد كان جلالة الملك فيصل الشهيد قد بلغ الغاية فى ذلك ، وقد أطلق العنان – بما فطره الله عليه من أخلاق إسلامية وسجايا عربية وخصائص قيادية – لهذا الكاتب فى الكتابة والحديث يفضى بما فى صدره ، من غير تهيب أو تلكؤ ، ومنح له الحرية التى لا تتصور فوقها ، ونحلى جيد هذا الكتاب بكتاب من جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز رداً على الكتاب الذى كتب فى ١٥ – ١٢ – ١٣٨٤ ﻫ وجاء فى هذه المجموعة تزييناً لهذا الكتاب ولأنه يعرب عن وجهة نظره رحمه الله وعهده وميثاقه مع الله ، جزاه الله عن الإسلام والمسلمين أفضل الجزاء وطيب مثواه .

وبهذا الشعور من الامتنان ، وبهذا الفيض من الاعتراف ، وبهذا النور من الأمل والرجاء ، ننشر هذه الرسائل والمحاضرات والكتابات لأول مرة ، والله ولى التوفيق ، ومنه الهداية إلى سواء الصراط وأقوم طريق .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

دار عرفات ، دارة الشيخ علم الله – رائى بريلى (الهند)

٢٩ ـ شوال ١٣٩٧ هـ – ١٤ ـ أكتوبر ١٩٧٧ م

حاجة البشرية وتوقها إلى حكومة تقوم على مبدأ الهداية والخدمة وأثرها في الحياة والأخلاق ومصير الإنسانية

من كتاب إلى صاحب السمو الملكي الأمير سعود بن عبد العزيز
ولي عهد المملكة العربية السعودية سابقاً

(زار مؤلف هذا الكتاب الحجاز والحرمين الشريفين لأول مرة سنة ١٣٦٦ (١٩٤٧ م) حين وفقه الله للحج ، وطالت إقامته في الربوع المقدسة ، فمكث ستة شهور يقضي لبانته من حضور الحرمين الشريفين والصلاة في المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف ، ويتصل بمختلف الطبقات ، ويدرس الأوضاع والحياة اليومية ، ويحتك بالشعب ، ويحضر المجالس المختلفة ، وقد أعجب بما وفقت له الحكومة السعودية — وعلى رأسها رائدها العصامي الملك عبد العزيز بن سعود — من إصلاح للأوضاع الكثيرة ، وتنظيم للإدارة والبلاد .

وكانت الحكومة والبلاد في ذلك الحين تجتاز بمرحلة انتقالية من البساطة والتقشف إلى التوسع الحضاري ورفاهية البلاد ، وتقليد الحكومات الزمنية ، وقد بدت طلائع هذا التحول في البلاد والمجتمع فرأى من واجبه — كمسلم مخلص لهذه البلاد ومستقبلها ، وكدارس

للتاريخ وفلسفته ، وطبائع الأمم والحضارات – أن يلفت نظر الذين يملكون زمام الأمور ، وقادة البلاد فى المستقبل ، إلى مسئوليتهم ويفضى إليهم بالأسلوب الذى يفكر فيه من يهتم بأمر الإسلام والمسلمين ويحب هذه الحكومة ويقدر ما وفقت له ، من إصلاحات كبيرة وحققته من إنجازات خطيرة ، فرأى أن يخاطب بذلك ولى عهد المملكة يومئذ : صاحب السمو الملكى الأمير سعود بن عبد العزيز ، فكتب رسالة ضافية إليه ، وهو يودع الحجاز ويركب الباخرة عائداً إلى الهند وذلك فى غرة ربيع الأول سنة ١٣٦٧ هـ (١٣ من يناير ١٩٤٨ م) وأرسلها إلى صديقه ومحبه الكبير : سماحة الشيخ عمر بن الحسن آل الشيخ رئيس هيئة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الرياض وكان أخص مرافقى سمو ولى العهد وبطانته ، وقد أخبره الشيخ بأن سمو ولى العهد اطلع على هذه الرسالة ، وعلى ما تحتوى عليه ، وقد نشرها الكاتب كرسالة مفردة أسماها « بين الجباية والهداية » فى سنة ١٩٤٩ ، وهى الآن داخلة فى كتابه المشهور « إلى الإسلام من جديد » وهذه القطعة مقتبسة منها) :

• • •

كانت المدن الإسلامية الكبرى وعواصم الإسلام فى العهد الإسلامى الأول – وفى مقدمتها وعلى رأسها جزيرة العرب والحجاز – مركز دعوة وهداية ، بحيث إذا دخلها الإنسان عرف أنه يمشى فى مركز الإسلام ويتنفس فى جوه ، فيرى الحدود قائمة وأحكام الشرع نافذة ، ولا يجد أحداً يتهاون فى أمر من أمور الدين ، ويستخف به ، أو يجاهر بإثم ومعصية ، ولا يرى بدعة ولا فجوراً ، ولا دعارة ولا خدعة ،

ولا يسمع برشوة ولا خيانة ، ولا ما ينافى روح الإسلام ، ويسمع الدعوة إلى الله وإلى الدار الآخرة ، وإلى الفضيلة والتقوى ، واتباع الكتاب والسنة ، والاجتناب من الشرك والبدعة ، والتمسك بفضائل الدين فى كل مكان ، ويرى العمل بذلك فى الطرقات والمجامع ، وبيوت الناس ودواوين الحكومة ، فيتشبع بروح الدين ويتضلع إيماناً وحماسة وفقهاً فى الدين ومعرفة بأحكامه وشرائعه وحباً لأهله ؛ فلا يخرج إلا وقد استفاد الإيمان والعلم والتصلب فى الدين والثقة برجاله وممثليه .

وإذا دخلها أجنبي أو حديث عهد بالإسلام ، عرف مزايا الحياة الإسلامية وفضل حكومة الإسلام ، وآثر الإقامة فيها ، وكره أن يفارقها ، ويعود إلى دار الكفر كما يكره أن يقذف فى النار .

أما الحرمان فقد كان فى حكومة الإسلام ــ المؤسسة على مبدأ الهداية ــ مدرسة الدين ومهد الحضارة الإسلامية ، تتمثل فيهما الحياة الإسلامية بكمالها وجمالها ، ويأتى إليهما المسلمون من كل ناحية من نواحى العالم الإسلامى ، ومن كل فج عميق ، فيشهدون منافع لهم ويتفقهون فى الدين ، وينذرون قومهم إذا رجعوا إليهم ، ويحتجون فى بلادهم بما رأوه فى الحرمين ، فيكرن ذلك حجة لمحافظة الحجاز على الدين والسنة ، وحرص حكومتها على تمثيل الحياة الإسلامية فى مركز الإسلام ومنبعه .

ثم أتى على المسلمين حين من الدهر نسوا أن الحكومة فى الإسلام لم تكن إلا جائزة الدعوة والجهاد فى سبيلها ، ولولا رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ودعوته إلى الله ، وما لقى فى مكة والطائف من قريش والقبائل ، ولولا الهجرة والاختفاء فى غار ثور ، والرباعية المكسورة يوم أحد ، ولولا ما صنع بحمزة يومئذ ، ولولا قتلى بئر معونة ومصلوب الأنصار(١) ، لما دانت الدنيا للعرب ، ولا كانت دمشق ولا بغداد ، ولا كان لبنى مروان أن يجبوا خراج الروم وفارس ولا كان للرشيد أن يقول لسحابة مرت به « أمطرى حيث شئت فسيأتينى خراجك » .

أسس ملوك المسلمين بعد الخلافة الراشدة ، دولهم على مبدأ الجباية السياسية ، وأهملوا الدعوة إلى الله وإلى دار السلام ، وعطلوا الحدود وأبطلوا الحسبة ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .. وأضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات ، ولم تعد مراكز الإسلام مدرسة الدين ومرآة لمدنيته واجتماعه بل أصبحت تغرس الشك والنفاق فى قلوب الوافدين ، وتزعزع عقيدتهم وثقتهم بالدين وأهله ، وأصبح القاصدون من مختلف أنحاء العالم الإسلامى يكتسبون منها استخفافاً بشعائر الإسلام ، ورقة فى الدين ، ووهناً فى العمل ، وسوء ظن بممثلى الإسلام ،

---

(١) هو خبيب بن عدى بن مالك الذى قتله بنو الحارث بن عامر وبضعوا لحمه وحملوه على جذعة وهو القائل :

ولست أبالى حين أقتل مسلماً على أى جنب كان فى الله مصرعى

ورجعوا يحتجون بالأوضاع الفاسدة فى مراكز الإسلام ، وبالفوضى الدينية ، فكانت داهية عظيمة على رجال الإصلاح والدعوة فى الأقطار الإسلامية وفتنة كبيرة .

ليس العالم الإسلامى اليوم أشد افتقاراً إلى شيء ، منه إلى حكومة تمثله تمثيلا صحيحاً ، وتقوم على أساس الدعوة والهداية ، والنصيحة والخدمة ، فإن الإسلام لا يؤثر فى عقول الناس ، ولا يشفى المتفحصين حتى تكون له رقعة فى الأرض ، تتمثل فيها حياته وتتجلى فيها مدنيته واجتماعه ، وتظهر فيها نتائج دعوته وتعاليمه ، فإذا كان ذلك ولو فى رقعة صغيرة ، كان على الإسلام إقبال عظيم لم يعهد من قرون .

وليس العالم الإنسانى أقل افتقاراً من العالم الإسلامى إلى مثل هذه الحكومة التى شعارها الهداية والإصلاح ، لا الجباية والكفاح ، فإن الإنسانية العليلة الجريحة لا يسعفها اليوم إلا قيام هذه الحكومات التى تؤسس على الفضيلة والدين ، واحترام الإنسانية وإيثار الأرواح على الأرباح ، والأخلاق على الأعلاق ، وكسب الرجال على كسب الأموال ، فإذا تأسست هذه الحكومة – مهما كانت صغيرة ومهما كانت مواردها ضعيفة – كان ذلك حادثاً غريباً يستحق كل تنويه وإشادة . وقام كبار السياسيين وأصحاب اليراع ، وقادة الفكر يشيرون إليها بالبنان ويضربون بها الأمثال ، ويؤلفون عنها مؤلفات ، وأصبح الناس يأوون إليها كما يأوى الغرقى إلى جزيرة فى البحر ، لينعموا فى ظل حكومتها ، وينفضوا عنهم غبار الظلم والفتن ، ويتنفسوا

من متاعب المدنية المعقدة المزورة ، والحكومات الجابية الجائرة ، ولكانت هذه الحكومة غرة فى جبين الدهر ، وشامة بين الحكومات والدول .

إن الإنسانية قد جربت حكومات الجباية على اختلاف أنواعها وأسمائها – من شخصية وديمقراطية ، ورأسمالية واشتراكية وشيوعية – فوجدتها بنات علات ، لا تختلف فى أصلها ومبدئها وروحها ونزعتها ، وقلبتها على كل جانب فلم تر منها إلا شراً ومراً ، ولم تر اختلاف الأسماء يغنى عن شىء ، وإذا تأسست جديدة باسم جديد ، نادى لسان الحقيقة فى لفظ أبى العلاء المعرى :

ألا إنما الأيام أبناء واحد وهذى الليالى كلها أخوات
فلا تطلبن من عند يوم وليلة خلاف الذى مرت به السنوات

وإذا ضمت إلى هذه الحكومات المعدودة بالمئات حكومة جديدة لا تختلف عن أخواتها إلا أنها يرأسها مسلم أو يديرها عدد من المسلمين لم تكن بدعاً ولم تكن شيئاً طريفاً ينوه به أو يشار إليه بالبنان ، أو تعقد به الآمال ، فإن هنالك حكومات تفوق هذه الحكومة عشرات من المرات فى طول مساحتها ، وضخامة ميزانيتها ، وكثرة إنتاجها ، وإصدارها ، وفى جيشها وأساطيلها ، وبوارجها الحربية وعدد الطائرات ، وكثرة المصانع ، ورقى الصناعة والتجارة ، واحتفال المدنية والحضارة ، وحسن الإدارة ، وانتشار العلم فى طبقات الشعب وقلة الأمية ، إلى غير ذلك مما تمتاز به الحكومات الأوربية .

إن قيام دولة للمسلمين فى بقعة من بقاع الأرض فرصة سعيدة نادرة لا تسنح فى كل حين ، ومثل هذه الفرص - كما يعرف المطلع على السنن الإلهية وعلى تاريخ الأديان والدعوات الإصلاحية - قد تسنح بعد قرون ، وتكون من فلتات الدهر ، وفى قصرها كوميض البرق فى ليلة مظلمة ، وتكون امتحاناً عظيماً لرجالها ، كيف يستخدمون هذه الفرصة لدعوتهم ومبادئهم الدينية على حساب مصالحهم الذاتية ، وراحتهم ولذائذهم ، فإذا انتهزوا هذه الفرصة وعرفو قيمة الوقت ، وأحسنوا تمثيل هذه العقيدة والدين ، الذى ينتسبون إليه ، وحسن ظن الناس بهم ، وصدقوهم فى ما يقولون فقد خدموا دينهم وأنفسهم خدمة باهرة ، وإن كان غير ذلك فأساءوا استعمالها واستغلوها لمصالحهم الشخصية على حساب الدعوة الدينية ، ورجالها المخلصين وجهودهم فى سبيل نشر هذه الدعوة ، وقيام هذه الحكومة ، كما فعلت الدولة الأموية والعباسية ودول كثيرة ، فقد ضيعوا الفرصة وخسروا دورهم ، وخسرت معهم الدعوة التى وصلت أسبابها بأسبابهم دورها ، وما يعلم أحد متى يعود هذا الدور ، وهل يعود أو لا ؟ فقد شهد التاريخ أمماً وجماعات كثيرة ضيعت فرصة حكمها وسلطانها ، ولم تنتفع بها ، وانتهى دورها القصير أو الطويل فوقفت مع المتفرجين المنعزلين وبقيت تنتظر دورها فى حلبة الأمم ، وتعض على تفريطها بنان الحسرة والندم .

هذا وإلى الحكومات الإسلامية ومن كان على رأسها أن ينتهزوا الفرصة ويحرزوا قصب السبق ، ويبلغوا بهمتهم وعنايتهم إلى حيث

لا يبلغ إليه كبار الصالحين والأتقياء بعبادتهم وزهدهم، وذلك بما آتاهم الله من حول وطول، ونفوذ وسلطان، وفرص لا تتأتى لغيرهم، ولهم أن يصلوا فى خدمة هذا الدين وإعادة شبابه، وإصلاح المجتمع وتغيير اتجاهه من الجاهلية إلى الإسلام، فى يوم واحد، — إذا أرادوا ذلك وصحت عزيمتهم وصدقت نيتهم — إلى ما لا يصل إليه المصلحون والمؤلفون والعاملون، فى أعوام وقرون، وينالوا من رضى الله وثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة، ما يغبطهم عليه كثير من العباد والمتقين، وعباد الله الصالحين.

وما أطلق الناس على عمر بن عبد العزيز لقب المجدد الكبير والخليفة الراشد إلا بتغيير مجرى الحكومة من الجباية إلى الهداية، والإصلاحات التى قام بها، وبرجولته وعصاميته فى سبيل مبدئه، ولو وزن ما تنازل عنه من نعيم زائل ومتاع فان، وأنواع من لباس وطعام، ودواب وأنعام — كان لابد أن يتركها يوماً من الأيام — لو وزن ذلك كله بما اكتسب من نعيم لا ينفد، وقرة عين لا تنقطع، وما يرجو من مرافقة محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه والالتحاق بحزبه وما جعل الله له من لسان صدق فى الآخرين، لرجح ما اكتسب رجحاناً واضحاً، وعد من كبار الأذكياء وعقلاء العالم.

شخصية البلاد المقدسة الفريدة
ووجوب الاحتفاظ بها

فى

جميع المخططات المدنية والتربوية والمشاريع التقدمية ووسائل الترفيه والتسلية

كتاب إلى صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبد العزيز ولى عهد المملكة السعودية ورئيس الوزراء سابقاً

(اتصل بكاتب هذه السطور — وكان يزور المملكة حيناً بعد حين حاجاً ومعتمراً ، وعضواً فى مجالس علمية واستشارية — أن هناك تفكيراً فى اتخاذ الوسائل الحديثة والمظاهر العصرية لترقية البلاد ترقية حضارية ، وترفيه أهلها والتوسع والانطلاق فى مواد التسلية ، وتقليد الأقطار الغربية فى مظاهر الحياة والمدنية ، ليكون ذلك علاجاً للتذمر الفاشى فى ذلك العصر وفى كل مكان ، وشاغلاً للشعب السعودى عن التفكير الخاطىء ، والتسلى ببرامج الحكومات العربية التى عرفت بالدعاية ضد المملكة العربية السعودية ومحاربتها ، ولم يعرف الكاتب مدى صحة هذه الأخبار ومدى الجدية فى هذا التفكير ، ولكن أفزعه

ذلك ، فرأى لزوم الحديث فى هذا الموضوع مع كبار المسئولين وولاة الأمور فى المملكة .

وكان من حسن الحظ أن صاحب السمو الملكى الأمير فيصل ابن عبد العزيز ولى العهد المعظم ورئيس الوزراء يومئذ ، زار المدينة المنورة فى هذه الأيام ، فطلب الكاتب مقابلة له ، وطلب منه أن يسمح له بالحديث الخاص فى جلسة خاصة لا يحضرها غيره وغير مرافقه(١) ، فقبله صاحب السمو وأصغي إلى حديثه فى صمت وصبر من غير أن يقاطعه أو يبدي رأيه قبل أن يتم الحديث ، وذلك ما لا يتوقع من كبار المسئولين والرؤساء فضلاً عن الأمراء والوزراء ، وكان الكاتب قد أعد رسالة ليقرأها الأمير على هدوء وطمأنينة ، وتبقى عنده كمذكرة ، فقدمها إليه وتصفحها الأمير فيصل بمحضر الكاتب ثم تكلم فى ضوئها ، فأوضح بعض النقاط وأزاح بعض الشبهات ، وصرح بأن المملكة تعتبر نفسها أمينة لهذه الأمانة المقدسة ، وهى غيور عليها وأنها لا تسمح بشيء ينافى العقيدة الإسلامية والمبادىء الخلقية مما لا يتفق مع الإسلام وتعاليمه ، وأنه يعتبر هذه البلاد قبلة المسلمين ومحط قلوبهم ، ويعتقد أن لكل مسلم حقاً فى الغيرة عليها ، والنصيحة لقادتها والمسئولين عنها .

وتتابعت رحلات المؤلف وزياراته للبلاد المقدسة ، وجدت شئون

---

(١) كان مرافقه فى هذه الرحلة والزيارة الأستاذ محمد الرابع الحسنى ابن اخته وأستاذ دار العلوم ندوة العلماء فى لكهنؤ (الهند) .

وسارت البلاد والمملكة فى طريق التطور المرتجل بضغط العوامل السياسية والاقتصادية والحضارية التى كانت تشتعل حولها فرأى ضرورة الاتصال بولاة الأمور وساسة البلاد — وفى مقدمتهم صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز الذى كان لا يزال ولى العهد ورئيس الوزراء ونائب جلالة الملك فى الحجاز ، فكتب إليه الرسالة الآتية ، وذلك فى الثمانينات الأولى بعد ثلاث مائة وألف من التقويم الهجرى) .

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز

ولى العهد المعظم ورئيس الوزراء حفظه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد . . فأدام الله عليكم النعم التى أكرمكم بها ، ووفقكم لما فيه رضى الله ، وثناء المسلمين وشكرهم وطيب الذكر وخلود الأثر ولسان صدق فى الآخرين ، وما هو وفاء وقيمة لمواهبكم العظيمة والفرصة السانحة الكريمة التى من الله بها عليكم .

إنه من المقرر المعلوم لديكم أن هذه البلاد ليست ككل البلاد التى ينظر فى قضاياها ، ومدنيتها ، وتقدمها ، وترفيه أهلها ، وتنظيم معارفها ، وتوجيه الرأى العام فيها كأى بلد فى الشرق والغرب ، إنها بلاد أراد الله وقضى أن تكون عاصمة الإسلام ومعقل الدين ، ومثابة لقلوب المسلمين ، وأنها مقدمة ووديعة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، خرجت ببعثته من الظلمات إلى النور ، ومن الخمول والعزلة والانطواء والاختفاء فى حاشية الأمم تحت ركام التاريخ ، إلى الشهرة والقيادة ، والمركزية فى العالم . وانتشرت لغتها وثقافتها فى أوسع رقعة من الأرض ، وفى أطول مساحة من الزمن ، وفى أوسع دائرة وأكثرها تنوعاً من الشعوب والأمم .

فما يقتضيه الدين والشعور بالأمانة والمروءة والشرف والاعتراف بالواقع التاريخي والعملي ومراعاة عواطف المسلمين المنتشرين في مشارق الأرض ومغاربها ، ومما تقتضيه السياسة الحكيمة أن يكون كل ما يقرر ويسن ، ويدعى إليه ويسمح به في كل مصلحة من مصالح الحكومة وفي كل ناحية من نواحي الحياة العامة ، خاضعاً لشخصية هذه البلاد الخاصة ورسالتها ومركزها في العالم والدعوة التي قامت بها في الماضي وعرفت بها في الحاضر ، وليتجنب كل التجنب عن كل ما ينافي عقيدتها ومبادئها ويرزؤها في شخصيتها ومعنوياتها ، مهما جر ذلك على هذه البلاد بالنفع المادي وعلى أهلها من الترفيه والتسلية والخصب . وإن هذه البلاد وقادتها أولى بهذه التضحية في سبيل المبدأ من الشيوعيين في روسيا والرأسماليين في أمريكا الذين لا يسمحون أبداً بما ينافي مبدأهم وسياسة بلادهم مهما صغر وتفه ، ومهما تضخم نفعه المادي وربحه المالي .

وقد يعتقد بعض الناس أن في هذا التوسع والانطلاق في مواد التسلية وتقليد الأقطار المتمدنة التي سارت وراء الغرب في أساليب التعليم وبرامج الإذاعة وتطبيق مظاهر الحياة الغربية مما لا تقدم ولا تؤخر في نهضة البلاد وقوتها ، ترفيهاً للشعب وتحقيقاً لمطالبه ، وعلاجاً للتذمر ، وشاغلا له عن التفكير الخاطىء وتقدماً بالبلاد — ومع الأسف والاعتذار — لا أوافق على ذلك في ضوء التجربة والتاريخ فليس هذا هو العلاج ، — وماء البحر المالح الأجاج لا يزيد الشارب

إلا عطشاً – إنما العلاج هو تحقيق العدالة الاجتماعية الإسلامية ، والتقدم بصناعة البلاد وتجارتها وإيجاد الوسائل الكفيلة للرزق الحلال ، والسير فى طريق الاكتفاء الذاتى ، وكفالة البلاد لنفسها وإنشاء المصانع وترخيص الحياة وحاجياتها ، والتقليل أو التحديد من أسباب البذخ والكماليات ، والترفيه الكريم المشروع الذى ليس ضيقاً ولا محدوداً كما يعتقد من لا يعرف الشرع وطبائع البشر .

أما التقليد والتفكير المترهل الذى ينجرف مع التيار والذى لا مقاومة فيه ، والذى يخضع لكل دعاية ويسرع إلى تحقيق كل مطلوب فهو خطر على البلاد وخطر على الحكومة ، وهو ينشر فى أقرب وقت التفسخ الخلقى والميوعة ، وضعف الشخصية الذى تعانيه البلاد الأخرى وقد أفلت الزمام من أيدى قادتها ومصلحيها فأصبحوا لا يملكون من أمرها شيئاً .

ثم إن هذا الاتجاه يفقد هذه البلاد حرمتها وقداستها وشخصيتها ويقطع صلتها عن الماضى ، ويحول بين هذه البلاد وقادتها ، وبين نصر الله ورحمته التى لا انتصار ولا عز ولا كرامة ، ولا سلامة ولا عافية بغيرها ، فالعدو قوى ماكر لا يحترز من شىء فى سبيل مراميه البعيدة ، وعزائمه الخبيثة ، وفيه الحرمان من أسباب نصر الله ورحمته التى لا غنى لنا عنها .

إن هذه البلاد لو سارت فى هذا الاتجاه الذى يدعو إليه بعض الناس ، الاتجاه الذى سارت فيه مصر وسوريا ، ولبنان ، من الحرية المطلقة

والترفيه غير المحدود وغير المقيد بالشرع والأخلاق . وسارت فى اتجاه القومية كما يدعوإليه كثير فى الخارج ، واعتبرت نفسها قطراً من الأقطار ، ودولة من الدول ، ومجتمعاً من المجتمعات البشرية الكثيرة ، ليست لها شخصية خاصة ، ولا رسالة ، ولا دعوة ، ولا حدود مستمدة من الشرع الإسلامى تقف عندها ، فإنها تصبح بلداً من البلاد الكثيرة التى لا قيمة لها فى خريطة العالم ، ولا فى هيئة الأمم ، وضاعت – لا سمح الله – الجهود التى بذلتها أجيال المسلمين الأولى ، ولا قيمة لبلاد يترفه أهلها ، ويأكلون كما تأكل الأنعام ، ويموتون كما تموت الحشرات ، ولا رسالة ولا دعوة ، ولا عقيدة ولا مبدأ ولا شخصية ، ولاخلق ، وفقدت احترام العالم الإسلامى وقيادته ورهبة أوربا وقادتها ، وإجلالهم ، والمكانة التى كانت تشغلها فى التاريخ ، وتستطيع – بقليل من الجهد والعزم – أن تشغلها فى الحاضر ، إنه سقوط فى الهمة وضعف فى التفكير ، وجبن فى الإرادة أربأ بنفس كل عاقل عنه .

إننى كفرد يدين لهذه البلاد فى دينه وعقله وثقافته أستحث هممكم ومواهبكم وما أكرمكم الله به من جاه ومنصب ونفوذ ، لمحاربة هذا الخطر ، إذا وجد فى زاوية من الزوايا الخاصة والعامة ، وتجنيد جميع قواكم فى سبيل حفظ شخصية هذه البلاد الإسلامية العربية ، وتوجيه التفكير والرأى العام ، والصحافة والإذاعة ، والأدب والمعارف ، إلى ما يغرس فى نفوس الشعب وشبابه وجيله الناشئ الإيمان والحماس الدينى والغيرة الإسلامية وحب الأخلاق والفضيلة ، وكراهة الإثم

والفسوق والفحشاء ويرسى فيهم القيم الإسلامية ويجعلهم جديرين لحمل المسئولية الكريمة العظيمة التى يرشحهم لها الإسلام وترشحهم لها هذه البلاد ، ومجال الدعوة والجهاد الذى أكرمكم الله به فى هذه البلاد المقدسة لا يتيسر لكل أحد فى كل بلد ، ولا يتيسر فى كل زمان ، فأرجو جاهداً مخلصاً أن تنتهزوا هذه الفرصة ، وتؤدوا رسالتكم بالتنفيذ ، فإن البلاد العظيمة المقدسة لما يقع حولها من أحداث وتقلبات وبما يجيش فيها من بلبلة الأفكار واضطراب العقول ، تمر بمرحلة عصيبة دقيقة من أدق المراحل ، فى تاريخها ، وإن اللحظة فيه اليوم تعد بشهور وأعوام — وإن خطوة قصيرة تخطئ موضعها تنتقل بها إلى مسافة بعيدة لا يسهل الرجوع عنها ، وإن الحكومة — ولله الحمد — تستمع وتصغى إلى كل كلمة مخلصة وتوجيه فيه سلامة البلاد وقوة الحكومة ومنفعة الإسلام وسعادة المسلمين .

وأعتذر عن هذه الكلمة الصريحة التى لم يحملنى عليها إلا الإخلاص والولاء لهذه البلاد وحكومتها وطلب السلامة والعز والشرف للعرب وللمسلمين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

أبو الحسن على الحسنى الندوى

أمين ندوة العلماء العام — لكهنؤ بالهند

تجربة التاريخ والأمم في إخفاق سياسة إطلاق العنان في الحرية والتمتع، والتسلي والترفه

وأن الطبقة المؤمنة المستقيمة وحدها جديرة بالثقة والاعتماد

كتاب إلى جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز ملك المملكة العربية السعودية

(بويع صاحب السمو الملكى الأمير فيصل بن عبد العزيز ولى العهد ورئيس الوزراء ، بالملك ، بعد تنازل أخيه جلالة الملك سعود بن عبد العزيز عن العرش ، ٢٧ جمادى الآخرة ١٣٨٤ هـ ، (٢ - ١١ - ١٩٦٤ م) وأخذ فى يده زمام الأمور فى عزم وحزم وحكمة ، فى ساعة دقيقة تعرضت فيها المملكة لخطر كبير ، وواجهت أعداء أقوياء أجرياء ، لا يتحرزون عن دنيئة ولا يخافون فى مؤمن إلا ولا ذمة ، فتغلب فى مدة قليلة على هذه المشاكل ، وخيب المخططات العدائية والمؤامرات الإجرامية وحاز الثقة وملك الإعجاب ، وبرز إلى العالم خادماً للحرمين الشريفين ، ورائداً للتضامن الإسلامى ، وحادباً على القضايا الإسلامية كلها فى قوة ولباقة وألمعية ، وأسند رابطة العالم الإسلامى بتأييده وعطفه الملكى ، وحنانه الأبوى ، ووجد فيه المسلمون فى مشارق الأرض ومغاربها قائداً إسلامياً ، وملكاً مؤمناً ، غيوراً على المقدسات الإسلامية ، موجهاً للشعب والجاليات الإسلاميات إلى ما فيه خير لها ولبلادها .

وكان كاتب هذه السطور من الأفراد السعداء المعدودين الذين حازوا ثقة جلالة الملك وأنس بهم ، وفسح لهم مجال الحديث فى وحدة وانفراد ، ومنحهم فرصة اللقاء والحديث مرة بعد مرة ، فانتفع كاتب هذه السطور بهذه الثقة الغالية ، وانتهز هذه الفرص الثمينة للإفضاء إلى جلالة الملك بذات صدره ومكنونات ضميره ، وكان عضواً فى المجلس التأسيسى للرابطة التى كان جلالة الملك يعطف عليها كثيراً ، ويمنح لأعضائها الحرية فى الحديث فى شئون العالم الإسلامى وفى أوضاع البلاد المقدسة التى يقوم فيها مركز الرابطة ، ويرتبط مصيره بمصيرها .

وكان من ضمن هذه اللقاءات الكريمة الحبيبة التى لا ينساها كاتب هذه السطور ، لقاء معه فى مكتب رئيس الوزراء فى جدة فى شهر ربيع الأول سنة ١٣٨٩ هـ (يونيو ١٩٦٩ م) قدم فيه الكاتب رسالة أعدها لهذه الجلسة الخاصة فقدمها بيده إلى جلالته وطلب منه أن يقرأها فى هذا المجلس ، فقبل هذا الاقتراح وقرأها حرفياً ، ثم بدأ الكاتب يشرح النقط الرئيسية التى جاءت فى هذا الكتاب ، ويبدى وجهة نظره فى تفصيل ، وبحث معه جلالة الملك هذا الموضوع ، وأبدى عزائمه وخواطره ، وتقديره لهذه الملاحظات التى كان مصدرها الإخلاص والحب والغيرة على هذه البلاد .

وفيما يلى نص هذا الكتاب التاريخى) :

حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم حرسه الله ورعاه

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد، فقد ظل الملك المعظم يكرمني كلما طلبت بلقاء حر كريم، وحديث صريح. وأكرمني كل مرة بحسن الاستماع والمذاكرة في الموضوع، وقد رأيت في هذه المرة أن أكتب ما أريد أن أقول، خوفاً من التقصير والعجز في الكلام، ولتبقى هذه المذكرة عند جلالته، وتكون موضع اهتمامه.

قد بدت الفتن تتقدم إلى الجزيرة العربية، وإلى آخر حصن من حصون الإسلام، والاستقرار والسلام، فاغرة أفواهها، مكشرة أنيابها، وهي لا تعرف الرحمة ولا الهوادة، ولا الاستثناء ولا التسامح، قد بدأ كل بلد عربي، بل إسلامي إلا النادر القليل، يجرب الشيوعية أو الاشتراكية، وأصبح تحت رحمة الحكام العسكريين، والقادة الثوريين، والزعماء الأنانيين، وأصبحت الشعوب في براثن هؤلاء الثوار كعصفور بين أنياب الصقور القاسية الضارية، لا تملك من أمرها شيئاً، وقد بدأت الشيوعية تزحف إلى هذه المملكة من أربع جهات: من الجهة الشمالية، ومن الجهة الجنوبية، ومن جهة الغرب، ومن جهة الشرق، هذا ما عدا أنصارهم وروادهم، الذين يعملون في الخفاء ويهيئون العقول والنفوس لقبول هذه الفلسفات الهدامة، في مجال التربية والثقافة، والكتابة والتأليف والإعلام والإذاعة.

وقد أخفقت كل تجربة لتلهية الشعب بالترفيه والتسلية وفيض من آلات الرخاء وإطلاق العنان فى إرضاء الغرائز ، وتحقيق المطالب ، وإمدادها بأكبر قسط من التمتع ، ورفع مستوى الحياة ، من عهد بنى أمية فالعهد العباسى إلى هذا العهد فى كل بلد من بلاد المملكة الإسلامية الواسعة ، وفى كل دور من أدوار التاريخ الإسلامى الطويل . فلم تحمل هذه السياسة — المعتمدة على توجيه طبيعة القلق والطموح المودعة فى الإنسان ، من التفكير فى القضايا العامة ، والأوضاع السياسية ، إلى التفكير فى التهام اللذات ، وانتهاب المسرات ، وانتهاز فرصة الحياة — الشعوب على الشكر والامتنان ، والتقدير والاحترام ، بل كانت هذه الشعوب التى أغدقت عليها النعم ، وعاشت بين روح وريحان ، وأطراب وألحان ، من أسبق الأمم إلى جحود النعمة . ونكران الجميل ، وأكثرها كنوداً وقسوة على الأسر الحاكمة ، الرحيمة السخية ، والحكومات المتسامحة ، فانتهزت أول فرصة للثورة عليها ، وقلب الأوضاع ، وعاملت المحسنين شر معاملة عرفها التاريخ ، وهذه طبيعة المادية الانتهازية الأبيقورية التى لا تعرف المفاهيم الدينية ، والقيم الخلقية ، ولا تعرف الميعاد والحساب ، وهى حكاية مطردة وتمثيلية متكررة فى جميع أدوار التاريخ ، كذلك فى آخر دور الأمويين وفى نهاية الخلافة العباسية ، وعندما بلغت المدنية ذروتها فى حكومات الشرق والغرب ، وكذلك كان فى مصر وسوريا ، وفى العراق بالأمس وفى السودان قبل أيام ، فلم تنفع هذه الفرصة السخية المتاحة للشعب ،

وهذه الفيضانات من أسباب الترفه والتسلي والتمتع والتلهى ، فرحبت هذه الأمم بكل ناعق ، وانتهزت أول فرصة للانقلاب .

وقد تحقق أن الإيمان العميق والاستقامة الخلقية والاقتصاد فى الحياة ، والتقشف والقناعة فى المعيشة ، وباختصار وصراحة : إن تقوى الله وخشية الحساب ، والحياء والوفاء والأمانة بالمعنى الواسع ، هى الخلال التى تمنع عن الجحود والكنود ، والقلق الدائم والغدر والخيانة وعبادة القوة أينما وجدت ، والترحيب بكل جديد وارد ، وزاحف مارد .

وأعتقد – والإشفاق والتألم يملآن جوانحى – أن فرصة العلاج الحقيق الحاسم ، وفرصة صيانة هذه المملكة ، بما فيها من مقدسات وحصون للإسلام ، من هذه الموجة الطاغية التى بدأت تمتد إليها حانقة ثائرة ، ومن وقوع هذه الجزيرة فريسة سائغة لهؤلاء الثوريين الأنانيين ، الذين يهلكون الحرث والنسل ، ويجردون البلاد من كل نعمة من نعم الدنيا والآخرة ، فرصة محدودة قصيرة جداً ، وأرجو عدم المؤاخذة ، إذا قلت : إنها آخر فرصة ، وعاهل هذه المملكة الذكى الألمعى هو خير من يعرف قصر هذه الفرصة ، وشدة هذا الخطر ، والأوضاع غير عادية فلاتقاوم بطرق سياسية عادية مما جربتها جميع الحكومات التى وقعت فريسة هذه الثورات ، وهى أساليب تقليدية لم يعد الله لها بالنصر ، ولم تمنع من حدوث أى انقلاب فى أى بلد ، وإنما تنفع فى هذا الوقت الرهيب خطوات جريئة حاسمة ، وتغييرات جذرية ، وعهود ومواثيق صادقة مع الله ، فليسمح لى

جلالة الملك أن أقول : إن مثلنا كمثل قوم يونس الذين أروا الله الصدق والإخلاص ، والإنابة والإخبات فى آخر ساعة ، وغيروا ما بهم فغير الله ما بهم .

وهنا ، بغاية من الاختصار ، بعض النقط الرئيسية التى لا بد من الضغط عليها :

١ — الصدق والإخلاص ، والعزم على إخضاع كل ما يجرى فى هذه البلاد — من أمور إدارية حكومية مما يتصل بالإعلام والتربية وكل ما يؤثر فى الرأى العام ، وفى عقلية الشعب وأخلاقه ، ومستقبل البلاد — للمقاصد التى بنيت لها الكعبة ، واختيرت لها هذه الأرض لتكون مركزاً للإسلام ، ومصدر إشعاع عالمى ، وللحكمة التى نبه عليها القرآن بقوله : « **ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم** » .

٢ — إزالة التناقض بين ما يعلنه جلالة الملك ، ويتزعمه بحق ويدعو إليه ، من الدين الخالص ، والإسلام الصريح ، وتحكيم الكتاب والسنة ، والتمسك بالتعاليم الإسلامية ، والقيم الخلقية ، والتضامن الإسلامى الذى أصبح جلالة الملك داعيه الأكبر فى هذا العصر ، وبين كل ما ينافيه فى مجال الإعلام والتربية ، والمظاهر الاجتماعية ، واتجاهات الشعب من اندفاع مشهور إلى الترفيه والتسلية ، والأغانى والملاهى ، والقصص المثيرة ، والبرامج المستوردة الرقيعة التى أفلت معها الزمام من يد المربين والآباء والأساتذة والعلماء ، والتى لا يحتفظ معها

أى شعب بالبقية الباقية من الشعور الديني والحصانة الخلقية ، ولا يستعد للطوارىء والمفاجئات ، ولا يتحمل أقل صدمة أو خطر من الخارج

٣ ــ اتخاذ الحياة الإسلامية ، الحياة التى يرضاها الله ويباركها وينصر عليها ، والحرص على إزالة جميع المنكرات ، وأسباب السخط ودواعى الخذلان ، والفشل فى المجال الإدارى ، والأخلاق الاجتماعية والفردية وتتبعها تتبعاً دقيقاً ، والحد من الثراء الفاحش ، وتكدسه فى عدد محدود وطبقة معينة ، وتقييد التجارة ، وحركة الاستيراد الحرة على حساب أخلاق الشعب ، وفى مصلحة عدد محدود جداً وطبقة معينة خصوصاً إذا كان ذلك من طبقة الأمراء والأثرياء ، ورجال الحكومة . فإن كل ذلك مما يمهد الأرض ، ويفتح الطريق للشيوعية المتطرفة ، والاشتراكية المقنعة ، والحيلولة بين الحكومة والتجارة بقدر الإمكان وإلى أقصى الحدود ، فإن ذلك مما يجحف بالشعب ويجنى على الأخلاق ويجعل الحسبة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر شبه مستحيل ، وقد نبه نابغة العرب وفيلسوف المؤرخين العلامة ابن خلدون على ضرره وسوء أثره فى الحياة .

٤ ــ عدم الثقة بقادة العرب الأنانيين الذين لا يعرفون غير مصلحتهم والذين وصفهم القرآن بقوله : « **لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة** » ووصفهم بقوله : « **يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم وأكثرهم فاسقون** » والذين ينتهزون أول فرصة فى بلاد أصدقائهم لقلب الحكومات وإحداث الثورات ، والذين لا شيء أبغض إليهم من وجود الاستقرار

والرخاء في بلد ، وقد يكون اليهود أحب إليهم من هؤلاء المسلمين ، والعرب ، والذين ينتهزون أول فرصة لشفاء النفوس من هؤلاء الأبرياء الذين أسعفوهم بالأموال في الساعة العصيبة ، وأنقذوا الوضع ، وينتهزون أول فرصة لتوجيه إذاعاتهم وصحفهم إلى نهش لحومكم ، والولوغ فى دمائكم : « كأن لم تكن بينكم وبينهم مودة » .

بالعكس من ذلك ، الاعتماد على الصادقين المخلصين فى داخل البلاد وخارجها ، الذين تربطهم بكم رابطة العقيدة والعاطفة ، والذين يدينون بالولاء والوفاء ، ويؤمنون بمبدأ الحب فى الله ، والبغض فى الله تقرباً إلى الله ، وإعزازاً لدين الله من غير مقابل مادى أو طمع دنيوى ، أو مصلحة فردية أو سياسة ، فأولئك هم الكنانة والجنة فى الخطوب ، وموضع الثقة والأمانة ، وعيبة النصح فى السراء والضراء ، ولا يكون هذا الإخلاص إلا عن إيمان عميق ودين متين ، ورابطة روحية ، ونزاهة لا ترتقى إليها شبهة ، ووجود أمثال هؤلاء فى الحكومة والجهاز الإدارى ، والاعتماد عليهم فى السياسة الخارجية والداخلية ، أكبر حارس للحكومة والبلاد ، بخلاف الانتهازيين والعلمانيين ، الذين لا يدينون بدين ، ولا يزعهم وازع من خلق أو مبدأ ، ولا يرون لهذه البلاد قدساً أو شرفاً ، إنما ينساقون مع الرغبات والمصالح ، وينفذون أوامر قادتهم فى الخارج .

هذا ما أملاه الإخلاص والحب لهذه البلاد ، ولمن اختاره الله لحراستها وخدمتها ، والحرص على سلامة هذه البلاد من الأخطار

التى قد وصلت إلى أسوارها ، وبدأت تدق أبوابها ، وفى اطلاع جلالة الملك الواسع وألمعيته النادرة ما يغنى عن التطويل والتفصيل والشرح والتعليل ، والله المستعان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الداعى المخلص

أبو الحسن على الحسنى الندوى

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية

الرقم ـــــــــ
التاريخ ٩ / ٢ / ١٣٨٥ هـ

فضيلة الشيخ ابى الحسن علي الحسني الندوى

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . نرجو من الله لكم دوام الصحة وموفور السعادة . وبعد : ـ

فقد تلقينا رسالتكم المؤرخه في ١٥/ ١٢/ ١٣٨٤هـ . واحطنا علما بما ابديتموه ، ومع شكرنا لمشاعركم الطيبه وتقديرنا لروحكم الاسلاميه وغيرتكم الدينيه . فأننا نود ان نؤكد لكم اننا لم نسمح ولا يمكن ابدا ان نسمح بما يتعارض مع ديننا الحنيف وتعاليمه القويمه . سائلين المولى سبحانه ان يوفقنا جميعا لما فيه خير هذا الدين واعلاء شأنه وجمع كلمة المسلمين على ما فيه صلاح دينهم ودنياهم .

والله يحفظكم ...

فيصل

(صورة فوتوغرافية لكتاب المرحوم جلالة الملك فيصل بن عبد العزيز إلى المؤلف)

الخطر الأخير في جبهة الوجود الإسلامي ووجوب حراسته ودرء الأخطار عنه

كتاب إلى صاحب السمو الملكي فهد بن عبد العزيز المعظم
آل سعود ولى العهد والنائب الأول لمجلس الوزراء

(قطعت المملكة العربية السعودية أشواطاً بعيدة في المدنية والرفاهية وارتفاع مستوى المعيشة ، بحكم ما أنعم الله به عليها من خروج النفط وتدفق الثروات ، وما تتمتع به من مكانة عالية فى الاقتصاد العالمى وأصبحت بفضل الله تعالى أغنى بلاد المسلمين ومن أغنى بلاد العالم اليوم ، وتبع ذلك ما يتبعه دائماً من ظواهر طبيعية نفسية لا يخلو عنها مجتمع إنسانى أو حضارة يضعف فيها الوازع الدينى ، ويحيط بها بحر المدنية والمادية الهائج والمائج من كل جانب، وتجوس أمواجه خلاله ، من أدواء خلقية ، كشره المال والتقدير الزائد له ولأصحابه والوصول إليه من كل طريق ، والشغف الزائد بطرق التسلية والمتعة ، وحدوث النعومة والرقة ، والبطر ونكران الجميل ، والقسوة والأنانية ، فأفزع ذلك كاتب هذه السطور الذى يزور المملكة ويزور البلاد المقدسة بمناسبات كثيرة مرة أو أكثر من مرة فى السنة ، عضواً فى مجلس أو مندوباً فى مؤتمر ، ويشهد الموسم ، ويؤدى مناسك الحج

ويخالط جميع الطبقات ، ويجرب أخلاق كل طبقة من طبقات الأمة والبلاد ، ويطلع على ما يتجدد من اتجاهات وتيارات ، وميول ونزعات فيطلع على ما لا يطلع عليه من يزور هذه البلاد حاجاً أو معتمراً أو ضيفاً للمملكة أو عابر سبيل .

فأفزعته هذه الظاهرة فى هذه البلاد التى تقوم على آخر خط فى المعركة الطويلة التى يخوضها العالم الإسلامى ، وكان جلالة الملك فيصل ابن عبد العزيز قد استأثرت به رحمة الله ، وخلفه أخوه جلالة الملك خالد بن عبد العزيز حفظه الله ، وولى عهده الأمير فهد بن عبد العزيز المعظم النائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ، فأراد أن يبث شجونه وأحزانه إلى من يملك زمام الأمور ، ويؤثر فى سياسة البلاد وسير الأمور فيها ومن ينظر إليه الناس كقائد وقدوة فكتب هذه الرسالة فى حالة نفسية خاصة ، وتأثر عميق . وقد مكث فى المملكة عدة شهور وحضر دورة المجلس الأعلى العالمى للمساجد ودورة المجلس الأعلى للجامعة ، وزار الرياض ، وقابل جلالة الملك . وكتب هذه الرسالة إلى حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز المعظم فى ٢٢ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٦ هـ (٢٢ من أبريل ١٩٧٦ م) أو ما يقاربه ، ووصلت إلى سموه بطريقة مأمونة ويد أمينة ، واطلع عليها ، وهنا نص هذه الرسالة) :

حضرة صاحب السمو الملكى الأمير فهد بن عبد العزيز
ولى العهد والنائب الأول لرئيس مجلس الوزراء ..

حفظه الله ورعاه ..

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد .. فقد كنت حريصاً على لقاء سموكم والحديث معكم فى جلسة خاصة هادئة مع معرفتى للمسئوليات الضخمة التى تضطلعون بها ، وإنما جرأنى على ذلك ما كان عودنى به أخوكم العظيم جلالة الملك فيصل الشهيد من سماحه لى للحديث الخاص كلما طلبته ، وحسن استماعه والصبر ، وما كان أولانى به من ثقة ، وآثرت أن أقيد ما أحب أن أضعه بين يدى سموكم مما يمليه على الإخلاص للإسلام والمسلمين ، ولهذه البلاد العزيزة المقدسة ، فأعتمد على هذه الرسالة الخاصة رجاء أن تحظى منكم بلفتة كريمة ، وإن كانت الرسالة لا تنوب عن حديث القلب مع القلب ، وبث الشجون عن طريق العيون ، ولعل الله يمن على بلقاء آخر .

وأرجو أن تسمحوا لى بصراحة التزمتها فى أحاديثى ورسائلى الخاصة لجلالة الملك الراحل رحمة الله عليه ، والتى يقتضيها الإخلاص لهذه البلاد المقدسة ، والأسرة الملكية الكريمة التى اختارها الله أخيراً

لخدمة الحرمين الشريفين ، وخدمة الإسلام ، والتى يقتضيها الواقع الدقيق الذى تعيشه هذه البلاد والأمة الإسلامية .

إننى أعتقد ياصاحب السمو الملكى أن هذه البلاد تمر الآن بأدق مرحلة مرت بها فى تاريخها الطويل ، ويزيد الأمر خطورة ودقة وجود مركز الإسلام فى هذه الرقعة وارتباط مصير الإسلام والمسلمين ومستقبلهم به ، وهو الخط الأخير فى جبهة الوجود الإسلامى ، إذا تخطاه العدو ، أو إذا انسحبنا عنه ، فلا أمل فى بقاء الإسلام وعز المسلمين .

إننى أشعر بأن هذه البلاد بين خطرين عظيمين ، أو بين فكى الأسد ، أما الخطر الخارجى فلا أطيل الحديث عنه فإنه واضح ، فالشيوعية زاحفة من عدة جهات ، وأعداؤنا بالمرصاد ، يريدون أن ينتهزوا أول فرصة ، والدوافع معلومة لا تحتاج إلى إيضاح ، منها علمهم بحساسية هذا المركز ، وأنه أقصر طريق وأضمنه للاستحواذ على ثروة هى وريد الصناعة والمدنية ، والقوة الحربية اليوم وهى النفط ، وقد أصبحوا تتحلب أفواههم على ما أكرمكم الله به من رخاء وثراء ، ومنابع الثروة والطاقة – أعاذكم الله من شرهم – وأنتم – والحمد لله – أبصر بالأخطار المحدقة بكم ، وقد أصبحت من الوضوح بمكان لا تحتاج معه إلى تفصيل أو تجسيم ، وفى وجود إسرائيل على طرف السهام ، واتجاه الدولة المحيطة بالجزيرة ، ثم فى حوادث لبنان الأخيرة ، ما يغنى عن التوسع فى هذا الموضوع .

أما الخطر الداخلى فهو عندى أعظم من الخطر الخارجى ، فبكل صراحة يا سمو الأمير : إن البلاد اليوم سائرة فى طريق الانتحار ، تجتاح الشعب اليوم موجتان عارمتان ، إحداهما موجة النهامة بالمال واستثماره والزيادة فيه ، والوصول إليه من كل طريق شرعى ، وغير شرعى ، نسيت معها جميع القيم الدينية والخلقية واحترام الإنسانية ومصالح المقيمين والوافدين من أنحاء العالم الإسلامى ، نستطيع أن نعبر عن هذه الظاهرة بهستيريا المادية والتكاثر ، نشأت عنها مشكلات طريفة معقدة أصبحت منها البلاد فى خطر .

والموجة الثانية هى الشغف الزائد بطرق التسلية والمتعة ، فالبلاد تسبح اليوم فى فيض من الأغانى وأنواع اللهو والتمتع ، والتهرب من كل ما يشق على النفس ويطلب الصبر وعلو الهمة ، وبذلك يتجرد الشعب العربى المسلم الذى عرف فى التاريخ بالتقشف والبساطة والفروسية التى استطاع بها أن يضطلع بأمانة الإسلام ويتغلب به على الشعوب التى أنهكتها أدواء المدنية والترف عن كل أوصاف الرجولة والفتوة ، وإذا استمرت هذه الحال مدة فإنه سينشأ جيل مائع رقيق متخنث لا يستطيع أن يقاوم أى تحد من الخارج أو الداخل . ويحفظ سلامة البلاد فضلا عن أن يبلغ رسالة الإسلام ، ويكون قدوة صالحة وأستاذاً موجهاً لمن يفد إلى هذه البلاد للحج من جميع أنحاء العالم الإسلامى.

وقد علمنا تاريخ الأمم والبلاد ، والمدنيات والتاريخ الإسلامى — كما قلت فى كتاب خاص كتبته إلى جلالة الملك فيصل رحمة الله عليه —

أن هذه الطبقة هى التى شكلت الخطر دائماً على الحكومات ، وهى التى قادت الثورات والانقلابات لما أصابها من البطر ونكران الجميل والحب الزائد للمال ، والحصول على وسائله وطرقه ، والجراءة على الله ، وتجرد القلوب عن خشيته والإخلاد إلى الراحة ونعيم الدنيا والحرمان من الخلق الكريم ، وهى تجربة تكررت فى التاريخ بحيث لم تدع مجالا للثقة بهذه الطبقة ، والزيادة فى أسباب ترفيهها وإرضاء رغبتها فى التسلية والمتعة الرخيصة وهى الغلطة التى ارتكبتها حكومة بنى أمية وحكومة بنى العباس ، نرى آثارها ومظاهرها فى روايات « الأغانى » و « كتاب الحيوان » و « ألف ليلة وليلة » .

إن الطبقة الوحيدة ، يا صاحب السمو ، التى ينبغى أن نعتمد عليها فى الإخلاص ومعرفة الجميل وحراسة البلاد والمقدسات الإسلامية وحماية الكرامة والأعراض ومقاومة العدو ، هى الطبقة التى ربيت تربية دينية خلقية ، ونشأت على العقيدة الصحيحة والخلق السليم والاستقامة والتماسك ، وشىء من القناعة والتقشف ، وإيثار الآجلة على العاجلة ، والحمية الدينية ، والغيرة الإسلامية ، وإن ذلك يحتاج إلى نظرة جديدة فى سياسة التربية والإعلام ، وتوجيهها إلى تحقيق هذا الغرض وإنشاء جيل مؤمن ، متخلق بالأخلاق الإسلامية وخصائص الأمة العربية الأولى التى ساعدت فى نشر الإسلام والجهاد فى سبيله ، وإنشاء الإمبراطورية الإسلامية التى كان أولها فى الغرب وآخرها فى الشرق ، والذى يعرف رسالته ويؤثرها على كل رسالة ويغار عليها ،

ويستميت فى سبيلها ، وذلك يتوقف على خطوة جريئة حاسمة مؤسسة على الاجتهاد والاستقلال الفكرى ، والابتعاد عن شوائب التقليد ، والتخطيط الذى لا يتفق مع شخصية هذه البلاد ورسالتها .

إن أخوف ما نخاف على هذه البلاد وعلى العالم الإسلامى هو أن تتجرد هذه البلاد المقدسة والشعب العربى السعودى الكريم وخاصة جيران البيت الحرام والمسجد النبوى عن شخصيتهم المثالية ومركزهم القيادى ، بل عن شخصيتهم الإسلامية ، والتنكر لها والاستنكاف عنها ، وأن تنشأ بينهم وبين الحرم وما قام له ويقوم ، فجوة واسعة عميقة لا تردم ، ولا يقوم عليها جسر ، فيعيش كل واحد منهما فى عزلة عن صاحبه ، وقد تكون صلة المسلمين فى بلاد العجم والآفاقيين أقوى وأعمق ، من صلة الذين يعيشون فى رحاب الحرم وظلال الكعبة ، وهو خطر قد ظهرت طلائعه بتأثير طرق التربية والإعلام ، وتدفق الثروة ، وتوفر وسائل الترفيه والتسلية توفراً لا يوجد نظيره فى بلد إسلامى آخر ، وفقدان القدوة الصالحة والنماذج العملية فى القناعة والتماسك وسمو النظر ، وبسبب ضعف الدعوة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتأثير المدنية الغربية وقيمها ومثلها من غير نقد وتمحيص ، وبتأثير الصحف والمجلات الرقيعة ، والروايات المثيرة للغرائز ، التى تنصب على هذه المملكة من زمن طويل ، رغم جهود الغيارى من المسئولين ، ورغم كراهتكم لها وتوجيهاتكم السامية إلى مراقبتها وقد قضى الله أن تكون هذه الجزيرة حرماً للإسلام وحمى له ، وأوصى

بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما أوصى به فى آخر عهده بالدنيا فقال : لا يجتمع بجزيرة العرب دينان ، وقال : « أخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب » وعدم اجتماع دينين وإخراج اليهود والنصارى من هذه الجزيرة الذى أمر به الرسول صلى الله عليه وسلم يحمل أبعاداً ومعانى أوسع مما يبدو ظاهراً من اللفظ ، فهو يشمل إبعاد آثرهم ، وتغلغل حضارتهم وقيمهم فى هذه الجزيرة ، وخطر نشوء جيل ليس بينه وبين الحرم ومسجد الرسول ورسالتهما تجاوب وانسجام وتفاهم واتفاق ، بل بينهما بالعكس تباعد وتجاف خطر لا يوجد له نظير فى التاريخ الماضى ، ووجوده — لا سمح الله بذلك — خطر على سلامة البلاد وكرامتها ، يحرك الغيرة الإلهية كما وقع ذلك مراراً فى التاريخ ، ونعيذ هذه المملكة وعلى رأسها الأسرة السعودية الكريمة التى كان قيامها على الدعوة إلى التوحيد والدين الخالص ، والعودة إلى عصر الإسلام الأول ، وتحكيم الكتاب والسنة ، من أن يقع هذا الخطر بين سمعها وبصرها ، وفى وجود عاهل الجزيرة الكريم وإخوته الغر الميامين ، وفى مقدمتهم صاحب السمو الملكى الكريم الأمير فهد ابن عبد العزيز أمل كبير فى دفع هذا الخطر ، ووقاية البلاد منه .

ولا ينقذ هذه البلاد المقدسة ، وهذه المملكة العزيزة التى هى مناط آمال المسلمين ، وموضع ثقتهم من هذا الخطر الداهم ، إلا الرجل القوى الأمين الذى ينهض لدرء هذا الخطر ، ويضحى فى سبيله بلذته وراحته ، وكل ما يحبب إلى النفس من تمتع ورخاء ، ولا لذة فوق لذة الإيمان والكفاح ، لإنقاذ البلاد والعباد ، وحماية الإسلام والمسلمين

وتأمين مستقبلهم ، وإرضاء الله والانخراط فى سلك المجاهدين والمجددين الذين قيضهم الله لكل عصر ولكل فترة حالكة ومحنة قاسية ، ولكم فى سيدنا عمر بن عبد العزيز أولا وفى السلطان صلاح الدين الأيوبى آخراً أسوة حسنة ، فقد قام كل واحد منهما فى عصره حين اشتدت بالإسلام المحنة — وبلغت التراقى وقيل من راق — بدوره القيادى الذى كان خطاً فاصلا بين عهدين . وغير مجرى التاريخ وأرغم المجتمع المعاصر على أن ينحو نحواً جديداً ، وكانت خطوة مباركة أثنت عليها الملائكة والروح ، وخلد الله ذكرها ، واعترفت الأجيال القادمة بفضلها .

وهذه البلاد ، والمسلمون الذين ارتبط مصيرهم بها فى مشارق الأرض ومغاربها ، يتطلعون بصبر نافد وقلب مضطرب إلى طلوع نجم جديد من أفق هذه الجزيرة ، فلم يغب لها نجم إلا وطلع لها نجم آخر ، وقد أغاث الله هذه المملكة وهذا البيت الكريم بفيصل العظيم ، والناس والبلاد فى أشد حاجة إلى قائد يرفع راية التضامن الإسلامى ، ويرد إلى هذه البلاد والمملكة اعتبارها ، ويرغم الخصوم لاحترامها والحساب لها ، ويعنى بالقضايا الإسلامية عناية الأب الحنون ، حين طمع الأعداء فى هذه الجزيرة وهذه المملكة ، وحين شنوا الغارة الشعواء عليها وتداعت أركانها وقواعدها ، وليست هذه الفترة التى تمر بها هذه البلاد وهذه المملكة أقل دقة وأعظم خطراً من الفترة التى نهض فيها فيصل العظيم ، بل قد تكون أكثر دقة وأعظم خطراً منها ،

وأملنا فى الله أن يقيض لهذه المملكة قائداً لا يحفظ هذه البلاد من الأخطار المحدقة بها فحسب ، بل ويحفظها من الفتن الداخلية أيضاً ، ويعنى بردم هذه الفجوة التى تحدثنا بها وإبعادها ، ويعنى بإخضاع جميع الوسائل التى أكرم الله بها هذه المملكة لتربية أبناء هذه البلاد بناء على أن هذه الجزيرة — فى وجودها وكيانها اليوم — مدينة للإسلام والنبوة المحمدية ودعوتها وجهادها وتربيتها ، وأبناؤها أمانة مقدسة عزيزة عند من يشرفهم الله بالوصاية عليها والقيام بشئونها ، يربيهم كما يرضاها الإسلام ويريدها لأبناء مركز الإسلام ، وكما كان يربيها الرسول وأصحابه إن كانوا أحياء ، ويحرص كل الحرص على أن يكون هذا البلد البلد المثالى لمن يفد إليه حاجاً ومعتمراً ، وزائراً، يستمد منه الإيمان والحنان ويشحن بطارية قلبه وعقله بشحنة إيمانية ، ويكون كل تخطيط مطابقاً لرسالته وشخصيته محققاً لهذا الغرض .

وقد أطلت عليكم يا صاحب السمو الملكى فى هذه الرسالة فإن الحديث ذو شجون ، وأستميح من سموكم العفو وأسأل الله العلى القدير أن يحفظكم ويقويكم ، ويطيل حياتكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ، ولائق التحية .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

أبو الحسن على الحسنى الندوى

يجب أن ينسجم التخطيط مع المقاصد التي قام عليها المسجد الحرام ويهيأ الشعب ليمثل دوره القيادي

(من كتاب إلى معالى الشيخ محمد سرور الصبان الأمين العام لرابطة العالم الإسلامى سابقاً)

(لم يزل كاتب هذه السطور يعود إلى موضوع سياسة التخطيط الشامل وسياسة الإعلام فى البلاد المقدسة ، ويبدى فيه آراءه وتجاربه ، ومشاعره وأحاسيسه ، ويبحثه مع عاهل البلاد والمسئولين عنها فى المملكة ، ويصغون إليه بأذن صاغية وقلب متفتح ، ويولون الموضوع اهتمامهم وعنايتهم .

وهنا رسالة كتبها الكاتب إلى صديقه الكبير المرحوم معالى الشيخ محمد سرور الصبان أمين رابطة العالم الإسلامى العام ، ويرجع تاريخ معرفة الكاتب به إلى سنة ١٣٦٦ هـ (١٩٤٧ م) حين كان الشيخ محمد سرور نائب وزير المالية ، ثم توثقت بينهما الصداقة والثقة فى سنة ١٩٥٠ — ١٩٥١ م حين قضى الكاتب فى الحجاز نحو سنة وكان الشيخ محمد سرور نائب وزير المالية ومشرفاً على الإذاعة ، ثم كان وزير المالية فى المملكة ، ولما تأسست الرابطة فى ذى الحجة ١٣٨١ هـ (سنة ١٩٦٢ م) اختير الشيخ محمد سرور الأمين العام

الأول ، واختير كاتب هذه الرسالة عضواً فى المجلس التأسيسى ، من هنا سنحت له فرص الاجتماع بمعاليه والحديث إليه كل سنة فى دورة الرابطة ، وفى المجالس الخاصة ، ووثق كل واحد بصاحبه وأحبه ، وقد كتب المؤلف هذه الرسالة فى رجب ١٣٩٠ هـ سبتمبر ١٩٧٠ م وقد تأخر عن حضور الدورة لأسباب قاسرة فاستناب هذه الرسالة إلى معالى الشيخ محمد سرور وهو يريد أن يطلع عليها جلالة الملك فيصل وترجاه أن يطلع جلالته عليها ، وأكبر الظن أنه فعل ذلك)

... لا شك أن جلالة الملك المعظم أتاح لنا فرصاً عديدة ومتكررة للحديث وإبداء الملاحظات ، وأنا شخصياً أعترف بفضل كبير فإنه أصغى إلى حديثى دائماً ، وتكرم بقراءة ما عرضته عليه من ملاحظات وآراء ، وقد تحدثنا مع جلالته عن سياسة التربية وعن سياسة الإعلام التى تصوغ مستقبل الأجيال صياغة خاصة لا تتفق مع رسالة هذا الشعب الذى يطلب منه أن يمثل دوره القيادى ، والذى يعتبر نموذجاً للمسلم فى كل بلد ، وليست القضية قضية فساد فى الإدارة أو انحراف فى المجتمع ، أو قضية انتشار لشىء حرمه الله ، وإن كانت لذلك أهميته ونكارته ، إنما هى قضية تخطيط شامل يستخدم جميع وسائل التربية والإعلام والنشر والإذاعة ، والصحافة ، والاقتصاد والتجارة سيصوغ المجتمع السعودى العربى الإسلامى صياغة جديدة أقول بصراحة أنها لا تنسجم مع مبادئ الإسلام وقيمه ، ولا تنسجم مع المقاصد التى قام عليها المسجد الحرام ، وهفت لها قلوب المسلمين فى كل عصر ، بل ستنشئ الجيل الجديد الذى سيتنكر لهذا الحرم ورسالته ، وستحدث بينه وبين البلد الحرام ودعوة إبراهيم ومحمد عليهما السلام فجوة عقلية واسعة عميقة ، لا تملؤها القومية العربية ، ولا المصالح السياسية ، ولا تقوم عليها قنطرة ، وإن بذل فيها المهندسون الأوربيون أكبر ذكائهم وعبقريتهم ، وإنه كفيل بأن يقصر الفجوة بقدر الإمكان بين الشعب العربى المسلم الذى اختاره الله للقيادة ، وبوأه مبوأ صدق وبين الشعوب الغربية ، التى تزعمت الإلحاد والإفساد فى الأرض

والثورة على القيم الخلقية والمفاهيم الغيبية ، فلا خوف ولا جدال ، ولا إسلام ولا مسيحية ، ولا خير ولا شر ، ولا رذيلة ولا فضيلة ، ولا بر ولا إثم ، ولا تقوى ولا فجور ، ولا معروف ولا منكر .

وليس ذلك خطراً على الشعب السعودى الإسلامى الذى يسكن فى هذه المنطقة ، أنه سيفقد شخصيته ورسالته ومقومات حياته ، بل إنه خطر على الإسلام والمسلمين ، فقد اختار الله هذا البلد ليكون مثابة للناس ، واختار هذا البيت ليكون قياماً للناس ، والمسلمون فى أنحاء الأرض يحتجون بعمل هذا البلد ويستشهدون به ، وليس بعد عمل الحرمين عمل ، وهكذا ينقطع لسان كل خطيب ، وينكسر قلم كل مصلح .

وندعو الله لكم دائماً بالتوفيق والهداية لما فيه خير الإسلام والمسلمين ، ونحن إذ نكتب هذه السطور نقدر جهودكم ومواهبكم العظيمة ، ونعترف لجلالة الملك فيصل المعظم بالعناية الفائقة بهذه المؤسسة ، وتقدير بالغ لأعضائها ، ومد الله حياته ونفع به الإسلام والمسلمين ، وأعاد به هذه الجزيرة إلى مركزها فى مصاف الشعوب والأمم ، والله ولى التوفيق والتأييد .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

المخلص

أبو الحسن على الحسنى الندوى

أمين ندوة العلماء العام لكهنؤ (الهند)

المعارف هى التى تصوغ البلاد صياغة جديدة
وتعطى المجتمع شكله النهائى
فلتكن موضع الاهتمام قبل كل مؤسسة

كتاب إلى معالى الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ وزير المعارف فى المملكة العربية السعودية

(كانت سياسة التربية والتعليم ونظام المعارف فى البلاد الإسلامية مجالا وجه إليه الكاتب دراساته وتأملاته ، وقد بدأ حياته كمعلم ، ثم كمشرف على التعليم فى مركز تعليمى إسلامى كبير كندوة العلماء ، ثم كمدير وأمين عام لها ، ودرس موضوع التعليم فى اللغات الإسلامية وفى بعض اللغات الأجنبية ، وألقى محاضرات فى عدد من الجامعات المدنية الكبيرة فى شبه القارة الهندية وخارجها ، وزار جامعات أوربا وأمريكا الكبرى ، وعمل عضواً فى المجالس الاستشارية واللجان التعليمية التابعة لعدد من الجامعات الإسلامية ، وحضر المؤتمرات التعليمية ، وحاضر فيها ، وبحث الموضوع .

كل ذلك انتهى به إلى الإيمان بأن التربية هى التى تقرر مصير الأقطار الإسلامية ومستقبل الأجيال المسلمة ، وأنها هى النقطة التى تنحصر فيها المعركة الفكرية الحضارية الحاسمة التى يخوضها العالم

الإسلامى اليوم ، وكان نظام التربية والتعليم فى المملكة العربية السعودية موضع اهتمامه وموضوع تفكيره أكثر من كل بلد ، لأنها هى القائدة للعالم الإسلامى والبلد الذى يتخذ مثالا وقدوة . ولأنها معقل الإسلام ومأرزه . فكان بحكم هذا الإيمان العميق والحب الخالص لهذه البلاد يثير اهتمام قادة هذه البلاد ، والموجهين لسياسة التربية والمشرفين عليها بين آونة وأخرى ، ويراسلهم ويتصل بهم .

وكان فى مقدمتهم وعلى رأسهم الوزير العالم الغيور صاحب المعالى الشيخ حسن بن عبد الله بن الحسن آل الشيخ وزير المعارف سابقاً ووزير التعليم العالى حالياً فى المملكة ، وقد وثقت بين معاليه وكاتب هذه السطور الصداقة ، وكان معاليه يولى كلما يكتب إليه هذا الكاتب اهتمامه ، فشجعه ذلك على مواصلة السير فى هذا الاتجاه وكتب إليه عدة رسائل ، ومن ضمنها هذه الرسالة التى جاءت فيها خواطره وتجاربه أوضح وأقوى .

وإلى القراء هذه الرسالة التى كتبها من الهند فى سنة ١٣٨٥ هـ (١٩٦٥ م) .

حضرة صاحب المعالى الشيخ حسن عبد الله بن الحسن وزير المعارف قواه الله وأيده بروح منه ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد فأرجو أن تكونوا قد عدتم إلى مقركم عودة سالمة غانمة(١) ، وأهنئكم على سلامة الوصول ، وأحييكم تحية مباركة .

إن اهتمامى بشئون هذه البلاد ، وقلقى للاتجاهات التى ستقرر مصيرها دينياً وفكرياً ، ومبدئياً لا يستغرب ، ولا يحتاج إلى شرح الأسباب فإنها قلب العالم الإسلامى النابض وأن جميع الأقطار الإسلامية خاضعة لما تتمخض به هذه البلاد ، والاتجاهات التى تغزوها ، وسلامة هذه البلاد من كل اصطراع فكرى ، وقلق نفسى ، ومن ضعف الثقة بخلود رسالة الإسلام وجدارتها للقيادة ، ومن التحلل فى الأخلاق من أهم الغايات ، وذلك يجعل كل من يهتم بقضية هذه البلاد ، ويركز فكره على المعارف لأنها هى التى تصوغ البلاد صياغة جديدة ، وهى التى ستعطى المجتمع شكله النهائى ، وقد أثر عن بعض الصالحين المهتمين بأمور المسلمين ، أنه قال : « لو كانت لى دعوة مستجابة واحدة ، لخصصت بها صاحب الأمر والنهى فى البلاد ، لأن صلاح المسلمين يتوقف على صلاحه » وأقول لو كانت لى دعوة مستجابة

---

(١) كان معاليه فى رحلة إلى أوربا عاد منها قريباً .

واحدة لصرفها إلى وزارة المعارف ، ولدعوت الله لها بالتوفيق والسداد والاستقامة ، والقوة والأيد ، ولو كان لى نفس واحد من الحياة والنشاط ، لبذلته فى إعانة هذه الوزارة والإسهام معها ، ولو اجتمعت ألف قوى ومؤسسات ، وعبقريات على إفساد بلد ، وقد صلحت معارفه وعرفت واجبها ، ورزقت العاملين المخلصين الأذكياء ، لما نجحت هذه القوى المفسدة فى تحقيق غايتها ، وإذا اجتمعت ألف قوى ومؤسسات ، وعبقريات على إصلاح بلد ، وقد فسدت معارفه وضعفت ، لم تثمر جهودها .

إن العالم الإسلامى اليوم يواجه معركة واحدة ، وهى الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية بأوسع معانى كلتا الفكرتين ، والمملكة كذلك تخضع فى قليل أو كثير لتأثير هذا الصراع العالمى ، ويزيد الأمر خطورة ودقة أنها فى مرحلة انتقال ، انتقال من الأمية التى كانت تطغى على هذا الشعب الكريم الذكى النجيب ، (بحكم إهمال الحكومات السابقة وتفريطها فى تثقيف البلاد) إلى التعلم الشامل ، والثقافة الواسعة ، التى ينفق عليها بسخاء نادر ، وأريحية منقطعة النظير ، وانتقال من حياة بسيطة محدودة (أشبه بحياة القرون الوسطى) إلى حياة متطورة تطوراً سريعاً لا يعلم أحد

مداه ، ومن هدوء يتصل بالركود والجمود ، إلى بحث وتطلع ، وهذه المرحلة هي أدق المراحل في حياة الأمم وتاريخ البلاد ، وهي التي تحتاج إلى تصميم حكيم دقيق ، ونقد واسع عميق ، وإلى متعاونين مؤمنين مخلصين ، وموجهين ناضجين محنكين ، وإن أصغر زلة أو قصر نظر ، أو تهور في وضع المناهج أو اقتباس العلوم ، أو اختيار المعلمين ، أو جلب الأساتذة من الخارج ، الذين لا يؤمنون بالفكرة التي تسيطر على هذه الوزارة ، ولا يخلصون لها ، تهوى بهذه البلاد إلى هاوية لا قرار لها ، وإلى غاية لا رجعة منها .

لقد كان وجود معاليكم في مركز توجيه المعارف وعلى رأسها ، ضماناً لسلامة هذه البلاد من الأخطار التي تهددها ، فأنتم فرع دوحة الإصلاح والتجديد في الجزيرة ، وكل ابن كريم غيور على تراث جده وجهوده ، وكل بلد تنجح فيه المخططات التعليمية المادية أو العلمانية لا يستطيع أن يحتفظ برسالته الروحية العالمية وبمقدساته وشعاراته ، فلنا أمل كبير في شخصكم الكريم ، وفي غيرتكم على هذا الدين ، وعلى الجهود الإصلاحية التي قام بها أئمة المسلمين ودعاتهم ، وفي غيرتكم على شخصية هذه البلاد ، التي منحها مركزها من العالم الإسلامي ومن التاريخ الإسلامي ، وتجريدها من هذه الشخصية إفقادها قيمتها وأكبر مقوماتها ، وأكبر إساءة إليها ، وإني مع بعدي عن البلاد المقدسة ، واضطلاعي بأعباء كثيرة ثقيلة ، أؤكد لكم استعدادي

للتعاون معكم فى العمل العظيم الذى أخذتموه على عاتقكم ، وأكرمكم الله بالنهوض به ، وأدعو لكم دائماً بالنصر والتأييد ، وأن يشد أزركم ويبارك فى حياتكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الداعى المخلص

أبو الحسن على الحسنى الندوى

٥ - ٢ - ١٣٨٥ هـ

٦ - ٦ - ١٩٦٥ م

ليكن أساس نظام التربية في المملكة أن الجزيرة العربية هي غرس محمد عليه الصلاة والسلام وثمرة دعوته وجهاده

(من محاضرة ألقاها المؤلف فى جامعة الرياض)

(هنا قطعة مقتبسة من محاضرة ألقاها المؤلف فى قاعة جامعة الرياض فى ٢٢ ـ شعبان ١٣٨٨ ﻫ (١٣ ـ نوفمبر ١٩٦٨ م) وقد زار العاصمة وزار معابدها وكلياتها بدعوة من معالى وزير المعارف ، الشيخ حسن بن عبد الله بن الحسن آل الشيخ ، وقد حضر هذه المحاضرة معالى وزير المعارف ، وعدد كبير من أصحاب الاختصاص فى التربية والتعليم ، وأساتذة الكليات ، ورجال المعارف والمثقفون الكبار فى العاصمة ، ونشر نص المحاضرة بكامله فى كتاب « نحو التربية الإسلامية الحرة فى الحكومات والبلاد الإسلامية » وقد صدرت له عدة طبعات .

وقد جاء فى هذه المحاضرة حقائق علمية ، ووثائق تاريخية ، وشهادات كبار أئمة التربية لأول مرة فى مقال أو محاضرة فى موضوع التعليم الإسلامى فى اللغة العربية ، ونحيل القارئ الكريم إلى مراجعة كتاب « نحو التربية الإسلامية الحرة » لاستيعاب هذا المقال) .

* * *

إن الجزيرة ذات شخصية فرضتها عليها الحكمة الإلهية قبل مئات من السنين ، واقترنت بها اقتران الطبيعة والمزاج بفرد أو جماعة ، ورافقتها فى رحلتها التاريخية الطويلة الشاقة ، المستقيمة الهادئة أحياناً والمنعطفة الملتوية أحياناً ، من غير أن تفارقها أو أن تتخلف عنها ، ولو فترة قصيرة من الزمان ، وقد ساعدتها على ذلك جميع العوامل التاريخية والطبيعية ، والخلقية والاجتماعية ، وألحت على أن تحتفظ بها وتستقيم عليها ، وذات رسالة اختارها الله لها واختار الجزيرة لها وارتبطت مصلحة كل واحد منهما بالأخرى ، وأصبحت محاولة تجريد كل واحدة منهما عن الأخرى ، محاولة أثيمةإجرامية ، فضلا عن أنها محاولة غير طبيعية ومخفقة دائماً.

وقد منحت هاتان الحقيقتان التاريخيتان الطبيعيتان هذه الجزيرة مركزاً رئيسياً فى كل فترة من فترات التاريخ ، ووضعتها فى محل القيادة والتوجيه ، والإشراف والحسبة ، ورفعتها عن مستوى التقليد والاتباع ، والتمثيل والمحاكاة والتلمذة والتطفل ، ومجرد التنفيذ والتطبيق ، والاقتباس والتلقين ، وفرضت عليها بطبيعة الحال الأصالة والاستقلال سواء فى الأساليب المدنية أو المناهج التعليمية ، فليست قضية هذه البلاد التعليمية من البساطة والسهولة بالمكان الذى يتصوره كثير من رجال التربية والتعليم ، ولا يقاس النجاح فيها ، والتغلب على

مشكلاتها ، بانتشار مجرد القراءة والكتابة فى الجمهور ، وكثرة وجود مدارس البنين والبنات ، وقيام عدد ضخم من الثانويات والكليات ونشوء بعض الجامعات ، وكثرة عدد المتخرجين فيها ، والقاصدين إلى عواصم الأرض للتوسع فى الدراسات العليا والعائدين منهم بنجاح باهر ، والشاغلين منهم للمراكز الإدارية والتعليمية الرئيسية ، فذلك مقياس يمكن أن يكون لبلد مغمور من بلاد أفريقيا التى دخلت فى حلبة المدنية العصرية حديثاً ، وقد أبى اليابان البوذى وأبت الهند البرهمية أن تتخذاه المقياس الحقيقى أو الهدف الأسمى من نشر العلم والثقافة ، ومحاربة الأمية والجهالة ، وألحتا على أن يكون هذا التعليم وهذه الثقافة مصطبغين بصبغتهما الحضارية الخاصة وفلسفتهما العريقة فى القدم ، خاضعين للأسس الفكرية والجذور العميقة التى تؤمنان بها وتعضان عليها بالنواجذ .

والبلاد السوفيتية التى رفضت الأديان قاطبة ، وقطعت شوطاً بعيداً فى حرية الرأى ، وشاع عنها أنها تمنح كل إنسان حق الأخذ بما يحب ويختار ، وخلعت ربقة القيود والحدود ، وحاربت فكرة تقديس جميع أفراد البشر ، وفيهم الأنبياء والرسل والزعماء الروحيون ، وقادة الفكر وأصحاب المدارس الفكرية ، وأنكرت الاحتكار بكل أنواعه ومظاهره ، إن هذه البلاد لم تأخذ بمبدأ التعليم والتربية من حيث هو مبدأ إنسانى عالمى وتراث بشرى مشاع ، وماء صاف سائغ لا يتلون بلون ، ولم تسمح باستيراد منهج من مناهج التعليم فى خارج

المعسكر الشيوعي ، ولا بإدخال العلوم والآداب التي نشأت في حضانة المربين البورجوازيين أو الأرستقراطيين – كما تقول اللغة السوفيتية – والتي طعمت بأفكارهم ونزعاتهم وطريق تفكيرهم ، ويخاف منها إضعاف العقيدة الشيوعية أو التشكيك فيها ، إن روسيا هذه التي حملت راية التحرر والثورة على كل تقليد وتقديس وتحديد وتقييد ، قد أخضعت جميع العلوم والآداب النظرية منها والتطبيقية حتى علوم الطبيعة والجغرافيا والتاريخ لمبادئها الشيوعية ، ولنظريات قادتها ومؤسسي دعوتها « كارل ماركس » و « انجلس » و « لينين » وربطت بين هذه العلوم وبين أسس أولئك القادة رباطاً وثيقاً مقدساً تغار عليه غيرة المؤمنين القدامى على عقائدهم وحرماتهم ، وغيرة العرب الأولين على عرضهم وأهلهم ، وتعلن ذلك من غير أن يأخذها في ذلك حياء أو تردد .

وهكذا استطاعت أن توفق بين العلوم التي احتاجت إليها والمبادئ التي آمنت بها وتجعل منها وحدة متكاملة متناسقة ، ولم تترك فجوة بين الحياة التي تعيشها أو تسعى إليها ، وبين المبادئ التي تؤمن بها وتدعو إليها بحماسة ، وقد حاربت في سبيلها حرباً شعواء وسلمت بذلك من الاضطراب الفكري والقلق النفسي اللذين يسودان في عالم تتوزعه القوى المتناقضة ويسوده النفاق والتناقض .

وكذلك البلاد الرأسمالية ، وإن اشتهرت في العالم بمبدأ التسامح الديني والحرية المطلقة في المذاهب والآراء ، والاستفادة من كل مصدر

ومن كل إنتاج بشرى فى مجال العلم والتجربة ، إن هذه البلاد كذلك لا تسمح بالمواد الأجنبية والمناهج التعليمية التى تبذر بذور الشيوعية والاشتراكية المتطرفة ، وتستهزئ بفكرة الملكية وتثمير الثروة وتنظيمها على غير أسس الشيوعة والماركسية ، ولا تسمح ولا تفكر فى استيراد أقل عدد من الأساتذة من البلاد السوفييتية مهما بلغوا فى البراعة والإبداع ، والتفوق فى العلوم والفنون . ولم يقف الأمر على هذا الحد ، بل قد أصبح قادة التربية والتعليم فى الغرب لا يرون استيراد منهج تعليمى من بلد إلى بلد ولو كانا يلتقيان على العقيدة والفكرة الأساسية فى الاجتماع والنظرة الواحدة إلى الإنسان والحياة والكون ، فلا تفكر انجلترا فى استعارة المناهج التعليمية والنظريات التربوية من فرنسا ، ولا فرنسا من إنجلترا ، – وهما الحليفتان فى الحروب والزميلتان فى الصلح – فضلا عن أن تقتبسا هذه المناهج من ألمانيا المنافسة الدائمة لها ، البغيضة القديمة إليهما .

وقد جمعت اللغة الإنجليزية والثقافة الأنجلوسكسانية والمصالح السياسية الكثيرة ، والزمالة المتكررة فى حربين عالميتين ، والمشاركة فى الدم والنسل إلى حد كبير بين الشعب البريطانى والشعب الأمريكى ؛ وساد فى البلدين المذهب البروتستانتى فهو مذهب الأكثرية الساحقة فى هذين البلدين ، ولكن رغم هذه الالتقاءات كلها لا يرى الموجهون لسير التربية والتعليم ، والواضعون لسياستها فى أمريكا استيراد مناهج التعليم وموادها من بريطانيا .

ومن رأيهم أن النظام التعليمي ليس من البضائع التي تستورد من بلد إلى بلد ، كالمصنوعات أو المواد الخام أو مرافق الحياة .

والجزيرة العربية لا تشارك الشعوب الإسلامية فى العقائد الدينية والشخصية الإسلامية فحسب ، بل إنها تنوء بأكبر أثقالها وتنهض بأعظم مسئوليتها من حيث إنها هى الداعية الأولى لها ، والمحافظة الدائمة عليها ، فهى مصدر الدعوة الإسلامية ومعقلها ومأرزها ، وقد جاء فى حديث صحيح (إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها) فنحن أولى بالغيرة على عقائدنا الدينية ، وشخصيتنا الإسلامية ورسالتنا الإنسانية فى كل ما نأخذ وما ندع ، وفى كل ما نبنى ونهدم ، وفى كل ما نقتبس ونتلقى ، من أى شعب وبلد فى العالم ، فنحن أولى بأن نفصل لباس التربية والتعليم والمناهج الدراسية والمواد العلمية على قامتنا ، وأن نخضع أكثر من أى أمة وشعب لمبادئنا وأهدافنا التى نعيش لها ، والرسالة التى أكرمنا الله بها وكلفنا إبلاغها على الإنسانية كلها فى كل عصر ، لقوله تعالى : «كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله »(١) وقوله : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس »(٢) .

وأخيراً لا آخراً يجب أن لا نخطو خطوة فى سبيل التربية والتعليم

---

(١) آل عمران الآية ١١٠ .

(٢) سورة البقرة .. الآية ١٤٣ .

وفى تصميم المدنية وفى سبيل أى مخططات نضعها لهذه الجزيرة حتى نعرف ونذكر أن هذه الجزيرة العربية التى نعيش فيها الآن ونتحدث عنها هى غرس محمد صلى الله عليه وسلم ، وثمرة دعوته وجهاده ، وله ولأصحابه وللمؤمنين بدعوته وحدهم الحق عليها ، فيجب أن يكون كل شىء يقوم فى هذه الجزيرة — من تنظيمات وتصميمات ومخططات ومؤسسات — معترفاً بهذا الحق خاضعاً لهذا الأصل ، عائشاً فى هذا الظل ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً كل الحرص دقيقاً كل الدقة فى أن تبقى هذه الجزيرة حصناً حصيناً للإسلام ، متماسكة قوية بعيدة عن كل اصطراع دينى وفوضى فكرية ، فعن جابر بن عبد الله قال أخبرنى عمر بن الخطاب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها إلا مسلماً »(١) وقال : « لا يجتمع دينان فى جزيرة العرب »(٢) وقد شملت هذه الوصية الحكيمة والتعليم العميق الدقيق إقصاء كل عنصر يحدث فى قلعة الإسلام وعاصمة محمد عليه الصلاة والسلام ، الثورة والردة وعدم الثقة بفضل الإسلام ، وخلود رسالته ، وعمومها للإنسانية ، وانحصار السعادة فى العمل بها ، والنجاة فى قبولها والإيمان بها .

و (لا إكراه فى الدين) وتاريخ الإسلام لا يعرف محاكم التفتيش

---

(١) رواه مسلم

(٢) الموطأ عن ابن شهاب مرسلا .

ووسائل التعذيب التى امتازت بها القرون المظلمة فى أوروبا ، ولكل واحد أن يختار لنفسه ما يحب من الآراء والنظريات ، ولكن لا يسمح بنشر الفوضى وبذر بذور الشك والضعف وفقد الثقة بالمبادئ والأسس الإسلامية فى هذه الجزيرة التى هى قلب الإسلام ، ولا يؤذن بنشر الدعاية للقوى المعادية المنافسة وللمعسكرات الأجنبية فى عاصمة الإسلام وفى حصن الدعوة ، وفى ثكنة الجيش الإسلامى ، فمن لم تطب نفسه ولم ينشرح صدره للعقيدة الإسلامية ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام ، وإمامته الخالدة العالمية وفضل تعاليمه ، ومن آمن بالفلسفات الأجنبية ، واقتنع بها وتحمس لها ، فليس له محل فى الحقيقة فى هذه الجزيرة ، ولا يجوز أن تتاح له الفرص وتهيأ له الوسائل فى توجيه العقول وتربية النفوس ، ولا يصح مطلقاً أن تقدم له أفلاذ أكباد هذه الجزيرة وخيرة شبابها ، ليصنع من هذه الفطر السليمة ، التى هى من أكرم ذخائر العالم الإسلامى وأنفس ثرواته وأكثرها استعداداً للنبوغ ، مصنوعات لا تنسجم مع العقيدة والدعوة التى قامت عليها وعاشت لها هذه الجزيرة منذ أكثر من ألف سنة ، والتى لا يزال العالم الإسلامى متطلعاً إليها ، متشوقاً لها ، بل لا يزال العالم الإنسانى كله مفتقراً إليها مقدراً لها كل التقدير .

التخطيط المدنى والتربوى اللائق بمركز الإسلام

وأثره فى حياة الشعب ووضع البلاد

(تحدث المؤلف عن التخطيط المدنى والتربوى فى بلد إسلامى فضلا عن بلد هو مركز الإسلام ، ومهد البعثة النبوية الأخيرة — وخطره وأثره فى مستقبل هذا البلد وشعبه ، فى كتابه الشهير « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية فى الأقطار الإسلامية » وهنا قطعتان مقتبستان من هذا الكتاب :)

في حديث عن تخطيط مدني أو تربوي يقوم في مركز الإسلام ، ومهد الدعوة الإسلامية الأولى ، يجب أن لا ننسى أن له شخصية متميزة خالدة يجب أن تكون بارزة واضحة ، يخضع لها جميع المخططات والمشاريع ، والنهضات والإصلاحات ، وكل ما يدعو إلى تطوير أو تكييف مع الزمان والمكان ، وأن تكون هي المقياس والأساس ، في كل ما يقبل ويرفض ، وفي كل ما يقتبس ويتلقى من الحضارة الغربية والمعطيات العصرية ، وأن يفصل لباس هذا التخطيط المدني والتربية والتعليم والاعلام والثقافة على قامة هذه الشخصية الملية ، وقيمتها المعنوية ، والرسالة التي نيطت بها ، وكلفت إبلاغها إلى الإنسانية ، وتمثيلها أجمل تمثيل على أرضها في كل عصر .

وليكن من المقررات التي لا تقبل الشك أن الجزيرة العربية هي غرس محمد صلى الله عليه وسلم وثمرة دعوته وجهاده ، وله ولأصحابه وللمؤمنين بدعوته وحدهم الحق عليها ، فيجب أن يكون كل شيء يقوم في هذه الجزيرة ــ من تنظيمات وتصميمات ، ومخططات ومؤسسات مقرراً لهذه الحقيقة ، متجاوباً معها ، وأن تكون هذه الأرض بعيدة كل البعد عن كل ما ينافي هذه الحقيقة ، وكل ما يهدد سلامتها العقائدية والفكرية ، ويضعف شخصيتها ، وإلى ذلك نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم بنظره البعيد ، فأوصى بإخراج اليهود والنصارى

من جزيرة العرب ، ونهى عن أن يجتمع دينان فيها(١) ولا شك أن وصيته النبوية الحكيمة لا تقتصر على إخراج غير المسلمين أجساماً ظاهرة، بل إنها تشمل إخراج نفوذهم وتوجيههم وحضارتهم ودعوتهم كما يفهم كل عاقل .

وزيادة على ذلك فإن فى هذه الجزيرة ، الحرمين : مكة البلد الأمين الذى ولد فيه الرسول صلى الله عليه وسلم وأكرم بالرسالة ، ويقع فيه الحج ويدور حوله . والمدينة : التى هاجر إليها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وقام فيها مسجده ، ومدرسته ، والمجتمع الإسلامى المثالى الأول ، ومنها انطلقت الدعوة الإسلامية ، والمد الإسلامى إلى أنحاء العالم ، وهذه مسئولية عظيمة خالدة ، فيجب أن تكون هذه البيئة أمينة للحياة الإسلامية ، ومرآة صافية لها ، حتى يستطيع كل وارد إليها أن يلمسها ويتذوقها بسهولة ، لأن الله قد قضى أن تكون هذه الأرض مركز الحج إلى آخر الزمان ، ومثابة للمسلمين فى كل سنة ، ولهم الحق بأن يؤمنوا بأنهم يقصدون بلداً هو معدن الطهر ومولد الدين ، وعاصمة الإسلام الروحية والخلقية ، بعيدا عن التيارات المعادية للإسلام والأخلاق المنافية لتعاليمه وتأثيره بعداً يمكن وقوعه وتصوره فى هذا العصر المتطور ، لم يخضع للحضارة الغربية وقيمها ومثلها ، خضوع بلد واقع فى أقاصى العالم الإسلامى ، لا يحمل هذه الشخصية ، ولا يضطلع بهذه المسئولية .

---

(١) راجع صحيح مسلم وكتب الحديث .

وأن يكون على شيء من البساطة والطبيعة ، وعلى شيء من التقشف فيستشعر فيه الوافدون من أنحاء العالم البعيدة ، بالجو الذى كان المسلمون الأولون يقضون فيه مناسكهم ، ويشعرون بشعورهم أو قريب من شعورهم ، وأن لا يبقى البيت وحده والحرم وحده ، جزيرة مختصة بالعبادة والتأمل والهدوء ، يموج حولها بحر المدنية الهائج ، تضرب أمواجه العاتية أسوارهما ، وقد تجوس خلال الديار .

والحضارة عميقة الجذور فى أعماق النفس الإنسانية وفى مشاعر الأمة وأحاسيسها ، وتجريد أمة من حضارتها الخاصة التى نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها ، وكان فى صياغتها نصيب كبير للذوق الدينى الخاص ، وطابع هذه الأمة الخاص ، مرادف لعزلها عن الحياة وتحديدها فى إطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية الضيق ، وفصل حاضرها عن ماضيها ، وأثر هذا التحويل كان عميقاً دائماً فى حياة الأمم والمجتمعات البشرية ، فذابت تدريجياً فى بوتقة الأمم التى اقتبست منها هذه الحضارة بمعانيها الواسعة ، وكان انسلاخها عن العقيدة التى بقيت متمسكة بها سهلا .

وليس المقصود من إبراز ناحية خطر الحضارة الغربية واقتباسها على الشخصية الإسلامية وكيان الأمة المسلمة هو تحريم الاستفادة من الحضارة الغربية فى مرافق الحياة واقتباس بعض ما توصل إليه العلم والصناعة والاختراع فى الغرب من وسائل تسهيل وترفيه ، وإغلاق الباب على مصراعيه ، فإن ذلك لا يقوله عاقل فضلا عن مطلع على

روح الدين وتعاليمه ، والإسلام لم يزل ولا يزال واسع الأفق متفتح القلب والنظر فى الاستفادة بكل ما يصلح وينفع ، ولكن مفهوم الحضارة الغربية فى هذا المقال هو أوسع من اقتباس الآلات والمخترعات والتجارب المفيدة فى الحياة العامة ، إنها تشمل الأفكار والقيم والمفاهيم والمثل وصبغ الحياة كلها بالصبغة الغربية والتخطيط المدنى الشامل ، واقتباس أساليب الحياة التى لا تتفق مع تعاليم الإسلام ومعاييره فى الطهارة والنظافة والاعتدال والاقتصاد ، والوقوف عند الحدود التى رسمتها الشريعة الإسلامية ، ويعسر على المسلم معها التأدب بآداب الشرع والعمل بالسنن النبوية الكثيرة ، ويبتعد بها عن الحياة الإسلامية التى عاشها الرسول والصحابة والتابعون لهم بإحسان ابتعاداً كلياً ، وتضفى على الأمة شخصية أجنبية لا تعرف فيها إلا بالأسماء الإسلامية أو بالأزياء التى لا تزال بعض الشعوب العربية أو الإسلامية محافظة عليها أو عندما يرتفع صوت الأذان من منائر مساجدها ، أو عندما تدخل فى المساجد ، على قلة عدد الداخلين فى بعض البلاد وكثرتهم فى بعضها فلا يربطها بالإسلام إلا خيط رقيق من عقيدة وتقاليد دينية ، إذا انقطع هذا الخيط — لا سمح الله بذلك — انقطع كل شىء .

وأعتقد أنه من الميسور جداً الجمع بين التسهيلات المدنية والاستفادة بالآلات والمخترعات ، وما وصل إليه العلم الحديث ، وبين ما تمتاز به الحضارة الإسلامية من جمال وبساطة وجدية وعناية بالطهارة والنظافة ، والابتعاد عن الإسراف والتبذير والإغراق فى المظاهر

الخارجية ، إذا وفقت الحكومة الإسلامية والمجتمعات الإسلامية للتخطيط المدنى المستقل ، البعيد عن التقليد الأعمى والارتجالية ومركب النقص ، وإذا توفر عندها الذكاء والأصالة والإيمان بفضل التعاليم الإسلامية والحضارة الإسلامية التى تنبثق عنها وتقوم عليها ، والاعتداد بشخصيتها ، وكان هذا التخطيط أجمل وأفضل وأكثر جلباً للأنظار واستهواء للقلوب ، وأبعث على الاحترام والتقدير ، ويؤم هذه المدن عدد من السياح بل من قادة الفكر ورواد العلم ، أكبر من العدد الذى يؤمها الآن من المتنزهين ، وربما يكون هذا الطراز الجميل الأصيل من المدنية باعثاً لكثير من الأقطار الغربية على تقليد بعض هذه الجوانب واقتباسها وعلى الأقل على التفكير فيها ، وتقديرها ، كما كان الشأن مع الحضارة الإسلامية الأندلسية التى كان لها أثر عميق فى الحضارة الغربية ، وفلسفتها وآدابها .

ولكن مع الأسف الشديد لم يوفق لذلك قطر واحد من الأقطار الشرقية والغربية ، العربية والحكومات الإسلامية ، ولم تكن عند أحدها جراءة كافية تحملها على مجرد هذه التجربة ، وكانت النتيجة أن أصبحت هذه الأقطار كلها نسخة ناقصة من المدنية الغربية ، وصورة شاحبة لها ، لا تسترعى اهتمام الغربيين ، ولا تحرك فيهم مشاعر الإجلال والاحترام ، وإنما يقولون إذا زاروا هذه المدن ، متفرجين أو مشاهدين : « بضاعتنا ردت إلينا » .

إن التصميم الحضارى محنة ذكاء ، وعصامية وعبقرية ، وقوة إرادة

وفقه دين ، ليس عملية نقل وتطبيق ، وتعديل وتحسين ، إن الإسلام قد حد حدود الحلال والحرام ، وحرم تخطى هذه الحدود ، وأفسح المجال للتمتع الكريم النزيه ، فى غير إسراف وإجحاف ومس بحقوق الآخرين وحظوظهم ، ومن غير تعرض لخطر الوقوع فى الإثم والفحشاء والتبذير ، والحياة التى لا تليق بالذكور والرجال ، والكرام الأقوياء ، وهذه هى الروح التى تسيطر على أحكام اللباس والطعام والعشرة والاجتماع والمتعة واللذة ، وحث على مراعاة المصالح ، والتجنب من المضار والمفاسد ، وإعداد الممكن المستطاع من وسائل القوة والدفاع واقتباس الصالح النافع من العلوم والحكمة ، بشرط أن لا يكون ذلك على حساب مقومات الشخصية والكرامة القومية الإسلامية ، وبشرط أن لا ينشىء ذلك فى الأمة شعوراً بالنقص ، وقصوراً فى الثقة وروح اندفاع سريع متهور إلى تقليد الآخرين ، والتشبع بروحهم ، وإجلال حياتهم وتقديسها .

إنه أساس حضارة تملك نعومة الحرير وصلابة الحديد ، نعومة الحرير فى مسايرة المقتضيات والحاجات والحقائق ، غير مفترضة ولا مختلفة ، وغير متخيلة ولا مبالغاً فيها ، وصلابة الحديد وثبات الجبال على حدود العقيدة والأخلاق ، إنها مفتوحة العقل والضمير منشرحة الصدر ، لاقتباس العلوم النافعة التى نشأت وتكونت فى جانب بعيد فى هذا العالم ، واقتباس النظم والأساليب التى لا تمس جوهر الدين ولا تغير وضع الأخلاق .

صلة نظام التربية والتعليم بواقع المجتمع واتجاهاته وميوله

(عقد المؤتمر االعالمى الأول للتعليم الإسلامى فى مكة المكرمة فى ١٢ ربيع الآخر إلى ٢٠ من ربيع الآخر سنة ١٣٩٧ هـ (٣١ مارس ٨ أبريل ١٩٧٧) تحت إشراف جامعة الملك عبد العزيز فى جدة ، حضره المعنيون بقضية التربية والتعليم فى العالم الإسلامى والغربى وأصحاب الاختصاص فى هذا الموضوع والمارسون له فى الشرق والغرب ، وكان موضوع مؤلف هذا الكتاب « التعليم فى المملكة العربية السعودية ، طرق الاستفادة منه وضرورة إزالة العقبات عن سبيله » وقد ألقيت هذه المحاضرة فى ١٩ من ربيع الآخر ١٣٩٧ هـ (٧ أبريل ١٩٧٧) فى جلسة رأسها صاحب السمو الملكى الأمير محمد الفيصل بن المرحوم جلالة الملك فيصل بن العزيز) .

وهنا قطعة مقتبسة من هذه المحاضرة :

إن كثيراً من رجال التعليم والتربية فى الشرق والغرب اعتادوا قديماً وحديثاً أن يبحثوا فى قضية التعليم والتربية كقضية منفصلة عن الحياة والمجتمع ، ليست بينهما صلة إلا الصلة المؤقتة العارضة ، كأن التعليم قنطرة يعبر بها الإنسان نهراً من الأنهار ، ويصل من بر إلى بر ، ثم يعود إلى موطنه الأول بنفس السيرة والنفسية والخلق والفكرة ، والتعليم عندهم حاجة من حاجات البشر يقضيها الإنسان ثم يعود إلى بيته كما يعود من السوق ومن المزرعة بل من ميدان الحرب ، فلا يحكمون على نجاح التعليم وإخفاقه إلا بالمعلومات التى تلقنها الرجل المثقف ووعاها ، وبالأرقام التى حصلها فى الاختبارات ، والشهادات التى يحملها ، واللباقة التى يتكلم بها والأناقة التى يعيش بها ، ولا يقيسون نجاح عملية التعليم والتربية بمقاييس عملية واقعية اجتماعية ، وقد صار كثير من هواة التعليم يقيسون رقى بلد ، ويحكمون على نهضته ومستواه الحضارى ، بعدد الجامعات الموجودة فى هذا البلد ، وإن كانت غير مؤثرة فى حياة البلاد مطلقاً ، تعيش فيها كقنصليات أجنبية ، وسفارات خارجية لا تؤثر فى الشعب ، وقد تكون هذه الجامعات عاملا قوياً من عوامل التقويض الاجتماعى. والفوضى الخلقية والفكرية ، وقد تكون أوكار الفساد والانحلال والقلق والتذمر والتعطل والبطالة ، ويكون المتعلمون فيها أو المتخرجون منها طليعة دعاة الإفساد

والاضطراب كما هو الشأن فى كثير من البلاد الشرقية ، الآسيوية والإفريقية .

إنها نظرة تقليدية غير واعية يجب أن تتطور وتتغير ، ولنكن نحن المسلمين – وفى مقدمتهم قادة الفكر وعلماء التربية – رواد الحقيقة ، مقررين للواقع ، قوامين بالقسط ، شهداء لله ، غير مسترسلين إلى الخيال ، والمعانى الشعرية ، والنظريات التقليدية ، فلنستعرض واقعنا ، ولنقارن كتاجر جاد مخلص ، بين ربحنا وخسارتنا ، وبين المسافة التى قطعناها والمسافة التى يجب علينا أن نقطعها ، وبين المنجزات والمعطيات ، وبين المشاريع والمخططات .

إن هذه البلاد هى المختبر الأول للتعاليم الإسلامية ، والدعوة الإسلامية ، وعلى هذه الأرض الطيبة تمثلت أروع رواية من روايات الصدق والإخلاص ، والوفاء والفداء ، والفتوة والبطولة ، التى شهدها التاريخ ، فهى صفحة منشورة ، كتب كل سطر من سطورها من نور ، ويلقى على كل من يعيش فيها ويزورها دروساً فى العقيدة والخلق والسيرة ، ويجسم التاريخ الإسلامى بحيث يفهمه كل إنسان ، ويراه رأى العين ، إن الجامعات الغربية الشهيرة ، والمراكز الثقافية الكبيرة تلجأ لغرس المعانى والحقائق التى تعلمها ، ولتقريب البعيد ، وإيضاح الغامض وإعادة المناظر التاريخية ، والحضارات القديمة وتجسيمها ، إلى مسرحيات وتمثيليات ، وإلى رحلات وجولات فى الآثار القديمة والمدن العتيقة ، وإلى مخيمات ومهرجانات ، يقضى فيها الطالب وقتاً محدوداً

فى جو تاريخى أو حضارى خاص ، تحلق عليه روح تختلف عن الروح العصرية ويستنشقون نسائم العهد القديم ، وكلها محاولات صناعية بعيدة عن الحقيقة .

أما الطالب الذى يعيش فى هذه الجزيرة ، فإنه يستحضر هذه المعانى كلها ، ويعيش فيها ، فكل ذرة من ذرات هذه الصحراء ، وكل جبل من جبال هذه الجزيرة ، يذكره بحادث من حوادث التاريخ الإسلامى الأول ، ويذكر بما قامت له هذه الجزيرة وعاشت وبما أريق فى سبيله من الدماء الزكية ، وبما كانت عليه فى الجاهلية من جهل وفقر وخمول ، وبما عادت إليه بعد الإسلام من علم وغنى وعز ، وبمن يرجع إليه الفضل فى ذلك ، وما هو مصدر هذا الانقلاب والتحول الذى ليس له نظير فى تاريخ الإنسان .

ثم إن هذه البلاد جعلها الله مركزاً للحج ، وله روحانيته ، وتأثيره فى النفوس والقلوب ، ويجتمع فيه أكبر عدد يجتمع فى أى مكان فى العالم ، من أهل القلوب المؤمنة ، والنفوس الصافية والأرواح الملتهبة ، الذين ساقهم الإيمان والحنان وحب مركز الإسلام ومهبط الوحى ، يتهافتون عليه كالفراش على النور ، والظماء على الماء ، يتمنون أن يمشوا إليه على أهدابهم ، ويستهينون فى سبيل ذلك بكل غال ويستعذبون المشاق ، فيتكهرب هذا الجو بالإيمان والحنان ، ويسرى تياره إلى النفوس الخامدة ، والجدران والأخشاب الجامدة ، فهل هنالك مدرسة أقوى من هذه المدرسة الإيمانية ، وأقدر على أداء

رسالة العلم والأخلاق ، وشحن النفوس بقوة جديدة تتغلب على التيارات المادية والاتجاهات العصرية ؟ !

ثم إن اللغة التي تسود هذه البلاد هي اللغة العربية التي نزل فيها القرآن ، ونطق بها الرسول ، والقرآن يتلى في كل مكان ، والأذان يعلو ويدوي في كل ناحية ، ولا يوجد في هذه الجزيرة — والحمد لله — دينان ، إنما يحكمها ويعيش فيها دين واحد، هو الدين الإسلامي الحنيف. ثم أكرم الله هذه الجزيرة أخيراً بأن وفق حكومتها — المملكة العربية السعودية حرسها الله — لرفع شعار الإسلام ، وتحكيم الشريعة ، وتنفيذ الحدود والقوانين الشرعية ، وقد قامت على أساس الدعوة ، وعلى التوحيد والسنة ، واتباع السلف الصالح ، فكان كل ذلك عوناً على تهيئة الجو الملائم لنشوء الفرد المسلم ، الصالح الواعي ، وتيسير مهمة التعليم والتربية في هذه البلاد ، وتذليل العقبات التي تعترض في سبيلها ، وإزالة جميع العوائق التي تواجهها البلاد غير الإسلامية أو البلاد التي امتحن فيها الإسلام والمسلمون بقيادات محاربة للإسلام أو منافقة مضطربة أو ضعيفة الثقة بصلاحية الإسلام في هذا العصر .

هنا نقف وقفة قصيرة أيها السادة ! ونقول : كان من المعقول المنتظر ، بل من المفروض المؤكد ، أن يكون الشاب المثقف في هذه البلاد شاباً مثالياً في استقامة الخلق وحسن السلوك والتماسك أمام المغريات ، والتمرد على الشهوات ، وفي قوة النفس والإرادة والصبر على المكاره والمشاق ، والدأب على العمل والتسامي عن مواضع الضعف

والتضحية فى سبيل راحة الوافدين إلى بيت الله . لا يكون أقل من اجتهاد قريش فى رفادة الحجاج ، وحسن وفادتهم قبل الإسلام ، وأن يكون الرجل المثقف بقدر ثقافته أكثر تحلياً بهذه الأخلاق ، من مواطن لم تقدر له هذه الثقافة ، وكل من علا كعبه فى العلم والثقافة كان خليقاً بأن يقوم على القمة من هذه الأخلاق ، لأنه نشأ فى أحضان ثقافة إسلامية هادفة مؤمنة خططت تخطيطاً دقيقاً أميناً ، وأنفقت عليها القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وجند لها أفواج من المسلمين والمربين ، واختير لها خيار الأساتذة والموجهين ، وقامت هذه المدارس تحت ظلال الكعبة وفى رحاب المسجد النبوى ، وفى حجر الإسلام ومهده .

إن نتيجة الجهود التعليمية التى تبذلها المملكة ووزارة المعارف الموقرة ، نتيجة ذات قيمة لا ينكرها عاقل منصف ، قد عرف هذه البلاد فى ماضيها وحاضرها ، وعرف ما كانت عليه هذه البلاد من أمية فاشية ، وفقر فى المدارس ومراكز التعليم حتى التعليم البدائى وبعد البادية العربية ، عن المبادئ الأولى للعلم وللإسلام وللإنسانية وما سببه الجهل لتعاليم الإسلام والانطواء على النفس والبادية ، من عادات همجية واستهانة بحياة الإنسان ، بل بحياة المسلم ، والجراءة على سفك الدماء ونهب الأموال ، وقلة الوسائل للاتصال بالعالم الخارجى وغيبة مظاهر الثقافة الأولى ، فإذا قارنا بين الماضى القريب والحاضر المستمر ، رأينا انقلاباً مدهشاً وقفزة واسعة ، أشبه بالخيال من الحقيقة

ولم يسعنا إلا الاعتراف بضخامة عمل المملكة العربية السعودية أيدها الله ، وإنجازاتها فى مجال النهوض بالبلاد علمياً وثقافياً .

إن النتيجة كانت أضخم وأعظم ، وأدعى للدهشة والاستغراب إذا تعاونت العوامل المؤثرة فى تكوين السيرة ، وتثقيف العقل ، وسبك الخلق أكبر تأثير ، وأزيل التناقض الذى يعانيه المسلمون فى كل بلد ، فلم تكن فجوة بين مراكز التعليم التى تنحصر فى جدرانها وبين الحياة التى تموج موج البحر ، فلا يؤتى التعليم ووسائل التربية أكلها ولا تتحقق أغراضها ، إلا إذا كان هنالك انسجام كامل ، وتعاون وثيق بين هذه المؤثرات الخارجية والداخلية ، وكانت تسير على خط واحد إلى غاية واحدة .

وهنا أذكر بطريق الإشارة والإجمال ، العقبات الرئيسية التى تعترض فى سبيل استفادة البلاد والأمة ، بالمؤسسات التعليمية والتربوية المنتشرة فى المملكة ، والتى إذا لم تحبط مساعى قادة التعليم وموجهى التربية وكبار الأساتذة والمعلمين ، فإنها تحصرها فى نطاق ضيق محدود جداً ، ليس كفاء هذه الجهود العظيمة ، وهى كما يلى :

١ — إن التعليم مهما كان راقياً ، ومهما اتسعت شبكته ودقت ، وأحكم صنعها — لا يعطى ثماره الشهية ولا يؤثر تأثيره المطلوب إذا كان المجتمع يجتاز بمرحلة عنيفة غير عادية من الحالة النفسية أو الخلقية وكان مصاباً « بالهستيريا » المادية تحكمه المثل الزائفة والقيم السقيمة من

تقديس المادة ، وتمجيد أصحاب رؤوس الأموال ، بصرف النظر عن قيمتهم الذاتية ومستواهم الخلقى ، هنالك تذوب هذه الطبقة من المثقفين الجامعيين وغير الجامعيين حتى المفكرين منهم والباحثين والمحققين فى هذا الاندفاع القاهر ، كما تذوب قطعة صغيرة من اللحم إذا ألقيت فى معدن الملح وتتحول فى وقت قريب إلى قطعة من الملح .

إذاً لا يجوز التغاضى عن الحالة الاجتماعية فى البلد وما تجتاح المجتمع من موجات وتيارات ، ولابد من العناية بتقويم المجتمع ومكافحة الأوبئة والأمراض التى تفترسه وتنخر هيكله ، وذلك عن طريق الدعوة الدينية والخلقية . وعن طريق الأدب الصالح والصحافة الهادفة التى تتقى الله فى أعراض الناس وأخلاقهم ، وعن طريق سن القوانين والحسبة إذا كان لابد من ذلك .

٢ – لابد من قدوة صالحة ونماذج عملية فى مختلف الطبقات فى الاقتصاد وبساطة العيش والإيثار على النفس ، وعلو الهمة فى خدمة الأمة والبلاد والاحتساب عند الله ، والقدوة الحسنة كما يعلم الجميع ، أكبر مؤثر نفسى فى كل عصر وجيل ، وهى التى بعثت فى الأجيال الماضية الروح والطموح ، فكان منها العلماء والمؤلفون ، وباحثون ومحققون ، ومصلحون ومجددون ، من الطراز الأول ، احتسبوا عملهم فى التعليم والتأليف والإصلاح والتجديد ، لا يريدون على ذلك جزاء ولا شكوراً ، وكان منهم عماليق فى الفكر ، ونوابغ فى الإنتاج

قد حولوا مجرى التاريخ أحياناً كثيرة(١) ، أما المتخرجون من مدارسنا وجامعاتنا اليوم فقد انساقوا مع التيار الجارى ، وسايروا عصرهم ومجتمعهم فى بناء المستقبل وتكوين حياة سعيدة ، وأصيبوا بمرض نستطيع أن نسميه (CAREERISM) .

٣ ـ إن مدرسة الإعلام فى كل بلد قد أصبحت أقوى من كل مدرسة ، وأوسع من كل مدرسة ، والتى أصبحت فى البلاد ، « المتمدنة الراقية » كالهواء والماء الذى لا يستغنى عنهما إنسان ، والتى أصبحت لها الكلمة الأخيرة فى تقويم القيم ، وفى موازين الأشياء وفى تصريف الميول والرغبات ، والتى صار بعض الخبراء يقولون إنها كالقلب ، إذا صلح صلح جسد المجتمع ، وإذا فسد فسد جسد المجتمع ، وكذلك الصحافة التى تقرب البعيد ، وتبعد القريب ، وكان لها من السيطرة والنفوذ أن سماها الغرب بـ « صاحبة الجلالة » .

وقد كانت التوصيات لوزارة المعارف حكيمة ودقيقة . إذ قالت فى إحدى نشراتها : « وسائل الإعلام والنشر . والتوعية والإرشاد . ورعاية الشباب تخدم الفكرة الإسلامية وتخضع ـ فى أهدافها ووسائلها ـ للسياسة التعليمية ، وتوجه عن طريق المجلس الأعلى للتعليم(٢) » .

---

(١) ليراجع للتفصيل كتابنا « رجال الفكر والدعوة فى الإسلام » (١ ـ ٢) .

(٢) تاريخ التعليم . مكة المكرمة ، ترجمة الأستاذ عبد الرحمن صالح عبد الله ، ص ١٣٧ .

وتقول : « تسهم وسائل الإعلام فى التوعية العامة التى تمهد لتحقيق أغراض التعليم ، وإزالة العقبات التى تحول دون تنفيذها كما تسهم فى تنمية روح الإيجابية بين المجتمع والمدرسة فى التعاون مع الجهات التعليمية للوصول إلى ما يحقق أهداف التربية والتعليم على خير الوجوه(١) .

إن عدم وجود الانسجام التام فى هذه المؤسسات العظيمة والوسائل القوية المؤثرة ، قد أحدث تناقضاً فى مجتمعنا الإسلامى ، وبلبلة فكرية وحيرة مردية . يعانيها الشباب المسلم ، وفى الحقيقة عقد مهمة رواد الإصلاح ، ورجال التربية ، ودعاة الفضيلة والاستقامة والاعتدال والصبر وعسرها ، وجعل كثيراً من المشتغلين بمهنة التعليم ، والمكافحين فى سبيله يعتقدون فى بعض الأحيان أنهم يضيعون جهودهم ووقتهم .

إن الشاب المسلم يعالج صراعاً مريراً ، هائلا عميقاً ، إنه يتلقى من مؤسسة الإعلام ، ومؤسسة الصحافة بالمعنى العام ، ومن التليفزيون ألواناً مختلفة من التوجيه ، إنه يسمع إذاعات وأحاديث وبرامج قد تقضى على البقية الباقية من آثار التربية الإسلامية وتحدث فيه ثورة فكرية ، وقلقاً نفسياً ، والصحافة التى هى « صاحبة الجلالة » فى نظر كثير من الناس تقدم إليه فى أول النهار الغذاء الفاسد العفن ، والمواد المثيرة المهيجة للعواطف ، قبل أن يتلو شيئاً آخر ، فأول ما يقع عليه

---

(١) تاريخ التعليم فى مكة المكرمة ، ص ٣٤٧ .

نظره صور مهيجة ، وعناوين مثيرة للغرائز ، ومقالات باعثة للشكوك مزعزعة للإيمان والثقة ، فيتلقى هذا فى رغبة ونهامة ، وفى شوق واستجابة ثم تقع فى يده كتب علمية ، لها عناوين هائلة ، وأسماء مرعبة ، صادرة من أقلام أناس ، آمن هذا الشاب بفضلهم وعبقريتهم فيقرأ ما يشككه فى الدين ، يشككه فى التاريخ الإسلامى ، يشككه فى مصادر الشريعة الإسلامية ، وحتى فى مصادر اللغة والأدب الأولى . ويشككه فى صلاحية هذه الأمة ، وفى خلود الرسالة التى قلدتها ، يشككه فى صلاحية اللغة العربية ، فيتلقى هذا المزيج العجيب ، وهذه الخميرة الطريفة من أفكار ومبادىء ، وإغراءات ، ومن نظريات ويقع من كل ذلك فى حيرة لا تعدلها حيرة ، فخليق بكل هذا أن يقع الإنسان — وإن كان ناضج الفكرة مختمر العقل ، حصيف الرأى — فى حيرة ، فكيف بالشباب الغض الناعم ، وكيف بهذه البراعم الناعمة التى لم تتفتح بعد كيف يرجى منه أن يقف أمام التيارات المتصادمة .

إن مثل ذلك كمثل عجلة مركبة ركب فيها فرس فى الأمام ، وفرس فى الوراء وكلاهما قويان ، فكما أن هذه العجلة من المعقول جداً ، أن يكون ركابهما فى حيرة من أمرهم ، هذا يجرها إلى الأمام وهذا يجرها إلى الوراء ، فكذلك الشباب يتأرجحون فى أرجوحة يميناً وشمالا .

إن الأدب الذى لم يزل يواجهنا منذ خمسين سنة على الأقل من العواصم العربية الكبرى ، التى كان لها التوجيه ، وكانت لها الزعامة

الفكرية والدينية ، غرس فى قلوب الناشئة ، وفى قلوب الشباب ، بل فى قلوب كثير من الكهول بذوراً من الشك والاضطراب ، تشككوا حتى فى وجودهم ، تشككوا فى كل ما تواتر واستفاض وأصبح من قبيل البديهيات ، إن هذه الكتب التى أريد من ورائها رزق أو شهرة ، أو زعامة فكرية ، أو هتاف وتصفيق حاد ، غرست فى قلوب شبابنا الشك والحيرة والتناقض .

وقد أصبحت زيادة قسط مواد التسلية ، بل البرامج الشائقة المثيرة غير الهادفة فى برامج الإذاعة والتليفزيون ، قضية شاغلة لتفكير رجال التربية ، والمعنيين بقضايا الشباب فى الغرب وفى الشرق .

وقد دفعت هذه الزيادة الشباب ، من الجدية والصبر والعكوف على الدراسات وإعداد الواجبات المدرسية — إلى تسلية النفس ، والتهرب من كل ما يتطلب العناء والمثابرة ، والعمق . بل حمل ذلك كثيراً من رجال التربية ، وعلماء النفس على الاعتراف بأن هذا الاتجاه قد أغرى كثيراً من الشباب بإجراء تجارب فى المغامرة . والاعتداء على النفوس والأموال . وأفلت الزمام من قادة التربية ، وأولياء الأسر والبيوتات ، وهبط مستوى ثقافة الطالب هبوطاً كبيراً ، لأن هذه البرامج قد استحوذت على حيز كبير من وقته وجهده ، وهى قضية تستقطب عناية المعنيين بقضايا التعليم والتربية ، وتطلب منهم حلا سريعاً وعلاجاً ناجحاً .

٤ — وأشد من هذا خطورة هو ما اعتاده كثير من بلادنا الشرقية

العربية ، والإسلامية ووزارات التربية فيها من إرسال بعثات من الشباب إلى أوربا وأمريكا ، ولم تنضج عقولهم بعد ، وليست عندهم حصانة خلقية ، ويزيد الأمر خطورة إذا كان فيها كثير من الشباب المراهقين وهى أدق مرحلة من مراحل حياة الطالب ، وأشدها حساسية ، أن توجه هؤلاء الشباب إلى بلاد موبوءة ، قد انتشر فيها الجذام الخلقى ، واضطربت فيها أسس الحياة الفاضلة ،والقيم والمثل ، اضطراباً كبيراً ، وأفلت الزمام من يد رجال التربية ، مجازفة بشخصيات الجيل الصاعد الذى سيتسلم زمام القيادة والتوجيه ، وأملنا فى أنهم سيجنون أفضل ثمار الثقافة الغربية ، والعلوم التجريبية النافعة ، ويتحرزون من مساوئها ، وثمارها المرة ، إغراق فى التفاؤل ، ومخالفة لطبائع الأشياء ومنطق الواقع ، خصوصاً إذا كانت إقامتهم فى أسر أوربية أمريكية ولم يكن نظام للأروقة الخاصة التى يسودها الجو الإسلامى ، ويهيأ فيها الزاد العلمى والتوجيهى ، فما مثل هؤلاء الشباب فى هذا الخضم من الحضارة الغربية إلا كما قال الشاعر القديم :

ألقاه فى البحر مكتوفاً وقال له
إياك إياك أن تبتل بالماء !

٥ — وليس أقل من هذا كله خطورة ودقة قضية تعليم الفتاة المسلمة ، فإنها قضية تحتاج إلى دقة واستقلال فكرى ، وتحرر من تقليد مفهوم التعليم النسوى ، الذى أخذت به الأقطار الغربية والشرقية فى الظروف التى تختلف عن ظروفنا كل الاختلاف ،

وتحتاج إلى تخطيط فيه الإبداع وفيه الأصالة . وفيه الذكاء . وفيه الجراءة ، وتاريخ البلاد والأمم يشهد بأن أعظم أسباب الانحطاط والفوضى التى أدت إلى زوال الأمم وانقراضها ، وانحطاط المدنيات وانهيارها ، هو تفكك نظام الأسرة واختلال الميزان فى الحياة المنزلية وزهد النساء فيها ، والتهرب من مسئولياتها وانتشار السفور الوقح ، والتبرج الجاهلى، فما رأينا مجتمعاً مائلا إلى التدلى والانحطاط، وأمة تسير بخطى سريعة واسعة إلى الزوال والإنقراض، إلا وقد فشا فيها هذا الداء . وبدأت السيدات فيها ينصرفن عن الحياة المنزلية وتكاليفها . ويزهدن فى « الأمومة » ومسئولياتها، وحضانة الأولاد . وإنشاء الجيل الجديد. والاعتناء بتكوين البيت الصالح الذى يجد فيه الرجل جميع أسباب الراحة والهدوء ، وتخيل إذا دخله أنه فى الجنة ، وبدأت السيدات فيها ينصرفن عن كل ذلك إلى مشاركة الرجال فى وظائفهم . . مجالات نشاطهم ومزاحمتهم بالمناكب ، ومسايرتهم . بل ومنافستهم فى جميع ميادين الحياة ، وهذا الذى منى به المجتمع الغربى ، فتفكك نظام الأسرة وفسدت الخلايا الاجتماعية ، التى كانت مركز القوة ، ومنشأ الجيل الجديد . الذى ساد العالم فى الماضى ، وقد بدأ علماء الاجتماع فى الغرب يعترفون بهذا الخطأ فى صراحة وجراءة ، ولكن الزمام قد أفلت منهم ، وبلغ السيل الزبى ، وفاضت كأس الحياة ، وهم يتخوفون نهاية هذه الحضارة قريباً .

فتقليد هذا النظام فى بلد شرقى إسلامى ، فضلا عن مركز الإسلام ومعقله ، وإعادة هذه التجربة الفاشلة ، مخاطرة بسلامة هذه البلاد ، وشخصيتها ورسالتها . فلنعتبر بهذه التجارب ولنكن على حذر من إعادتها فى بلادنا التى يتوقف عليها مستقبل الإسلام ، والسعيد من وعظ بغيره .

وأختم هذا البحث الذى قد طال بعض الطول ، والحديث ذو شجون بكلمتى الأخيرة ، وهى أن سياسة التعليم فى هذه البلاد التى عرضنا بعض نماذجها ، والتقطنا منها أهم توصياتها ، سياسة إسلامية رشيدة ، والمناهج التعليمية مناهج خاضعة لهذه السياسة بشكل عام ، وهى مستعدة لاشك لتطوير أفضل وترقية مثلى ، وأن وسائل هذا التعليم التى تملكها المملكة العربية السعودية ، تستخدمها بهمة عالية ، وأريحية فائقة ، واستعداد الشعب للانتفاع بها عظيم ممتاز ، ومساعدة البيئة والأجواء التى تغذى العاطفة الإسلامية وتذكر برسالة الإسلام متحققة متوفرة .

وكل ذلك كفيل بإبراز النتائج الجسيمة العظيمة ، وتحقيق أهداف التعليم تحقيقاً لا يوجد له نظير فى العالم الإسلامى ، كل ذلك ممكن بسهولة إذا أزيلت الموانع ، والمتناقضات ، وحصل الانسجام التام بين عوامل التأثير والتكوين ، ومدارس التربية والتعليم ، وسدت المنافذ التى يتسرب منها الفساد والضعف والتناقض ، داخلية كانت أو خارجية ، وما هو بعمل شاق عسير على هذه المملكة العظيمة التى

قامت على أساس العقيدة والدعوة، وعنيت بقضية الإسلام فى كل بلد . وتكفلت التعليم الإسلامى والدعوة الإسلامية فى القارات البعيدة ، وحملت راية التضامن الإسلامى ، ولا على وزارة المعارف الموقرة التى يقودها رجال العقيدة والدعوة ، وأهل الغيرة الإسلامية ، والفقه فى الدين . ولو تحقق كل هذا كان حدثاً كبيراً فى تاريخ الإسلام المعاصر وكان قدوة لكل بلد إسلامى ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله .

ليست التربية إلا أداة مؤثرة وفية لترسيخ عقيدة الأمة، ونظرها إلى الحياة والكون في قلوب الناشئة

(من مذكرة قدمت إلى مؤتمر وزراء التربية فى الدول العربية)

(انعقد فى سنة ١٣٨٧ هـ (١٩٦٨ م) مؤتمر وزراء التربية فى الدول العربية فى الكويت ، البلد الإسلامى العربى ، وطلب بعض الإخوان فى البلد والمعنيين بقضية التربية ومستقبل الأجيال الصاعدة فى الأقطار الإسلامية ، من مؤلف هذا الكتاب أن يقدم مذكرة إلى هذا المؤتمر الموقر بصفته صاحب دراسات وتجارب وكتابات فى موضوع التربية ، وأميناً عاماً لندوة العلماء فى الهند ، فقدم المذكرة التالية) .

حضرات أصحاب المعالى وزراء التربية فى الدول العربية الموقرة !

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد ، فأنتهز فرصة اجتماعكم فى البلد الإسلامى العربى العزيز ، الكويت ، لدراسة القضايا التعليمية فى الحكومات العربية ووضع مخططات لها ، فأقدم إليكم هذه الرسالة كمعنى بموضوع التعليم فى الأقطار الإسلامية والشرقية ، وكعضو فى هذه الأسرة الكريمة التى تلتقى على صعيد الإسلام وعلى صعيد الاهتمام بشئون العالم العربى ، وعلى موضوع التعليم ، أرجو أن تحظى بعنايتكم .

لقد أصبح من المقرر فى كل بلد واع حريص على سلامته وشخصيته أن المعارف ليست إلا جهازاً يغرز المعانى والأسس التى يؤمن بها هذا الشعب، ودرجت عليها أجياله ويعيش بها وفيها ، فى التاريخ الماضى وفى العالم المعاصر ، فمن أول واجبات نظام التعليم فى جميع البلاد المتمدنة الواعية أن يغرز هذه العقائد والحقائق فى قلوب الناس ويغذيها حتى يؤمن بها كحقائق علمية ، ويتحمس فى سبيل الدعوة إليها والمثابرة عليها. وقد أصبح من المقرر عند أساطين التعليم الحديث فى الغرب أن كل شعب من شعوب العالم إنما يصوغ نظامه التعليمى وفق نظرية الحياة التى يؤمن بها فيقول **Sir Percy Neinn** الذى يحتل الصدارة فى خبراء التعليم فى بريطانيا فى مقال له كتبه لدائرة المعارف البريطانية :

« لقد سلك الناس مسالك مختلفة فى التعريف بالتعليم ، ولكن الفكرة الأساسية التى تسيطر عليهم جميعاً أن التعليم هو الجهد الذى يقوم به آباء شعب ومربوه لإنشاء الأجيال القادمة على أساس نظرية الحياة التى يؤمنون بها .

إن وظيفة المدرسة أن تمنح للقوى الروحية فرصة التأثير فى التلميذ . القوى الروحية التى تتصل بنظرية الحياة ، وتربى التلميذ تربية تمكنه من الاحتفاظ بحياة الشعب وتمديده إلى الأمام » .

إن جون ديوى (John Dewey) الذى كان تأثيره فى نظام التعليم الأمريكى أكبر من تأثير كل رجل فى هذا العصر ، يقول فى كتاب : « الديمقراطية والتربية » (Democracy And Education) « إن الأمة إنما تعيش بالتجديد وأن عمل التجديد يقوم على تعليم الصغار ، إن هذه الأمة بطرق متنوعة تكون من الأفراد الأميين ، ورثة صالحين لوسائلها ونظرية حياتها ، وتصوغهم فى قوالب عقائدها ومناهج حياتها » .

ويقول البروفسور كلارك (Prof Clark) « مهما قيل فى تفسير المعارف ، فما لا محيص عنه أنه سعى للاحتفاظ بنظرية سبق الإيمان بها وعليها تقوم حياة الأمة ، وجهاد فى سبيل تخليدها ، ونقلها إلى الأجيال القادمة » .

لذلك ليس من المعقول ولا من الجائز أن تستورد أمة لها شخصيتها

ورسالتها ولها عقائدها ومناهج حياتها ، ولها طبيعتها ونفسيتها ، ولها تاريخها وماضيها ، ولها محيطها الخاص وظروفها الخاصة ، نظاماً تعليمياً من الخارج ، ولا أن تكل وظيفة التعليم والتربية وتنشئة الأجيال وصياغة العقول ، إلى أناس – مهما بلغوا من البراعة فى تدريس مواد تعليمية ، وإتقان اللغات والفنون – لا يؤمنون بهذه الأسس والعقائد ولا يتحمسون لشرحها وتعضيدها ، ويقول الأستاذ الأمريكى الدكتور (Dr.J. B. Conant) فى كتابه « التعليم والحرية » (Education and Liberty) «إن عملية التعليم ليست عملية تعاط وبيع وشراء ، وليست بضاعة تصدر إلى الخارج أو تستورد إلى الداخل ، إننا فى فترات من التاريخ خسرنا أكثر مما ربحنا باستيراد نظرية التعليم الإنجليزية أو الأوربية (إلى بلادنا الأمريكية) » .

وعلى هذا الأساس يتفق المعسكران الشرقى والغربى ، وقد سبق من أقوال خبراء التعليم وقادة الفكر فى أوربا وأمريكا مادل على وجهة نظرهم إلى المعارف ، وأنها ليست إلا أداة مؤثرة وفية لترسيخ العقيدة ونظر الأمة إلى الحياة والكون وتعميق جذورها فى قلوب الناشئة ونفوسها ، ونقل التراث العقلى والعقائدى والاجتماعى إلى الأجيال القادمة . وإقناعها بضرورة الاحتفاظ بها والمثابرة عليها ، والجهاد فى سبيلها .

فأما المعسكر الشرقى الذى اشتهر بالثورة على الأسس والقيم ونقض القديم وبلبلة الأفكار ، فإنه ليس أقل تمسكاً بهذه النظرية ، نظرية

التطبيق بين التعليم والعقيدة التى يختارها ، والفلسفة التى آمن بها ، وإخضاع نظام التعليم كله لهذا الغرض وصوغه فى قالبه صياغة دقيقة متقنة من المعسكر الرأسمالى المنافس فيقول عالم طبيعى من كبار علماء البلاد السوفيتية (Mc G ،vern) .

« إن العلم الروسى ليس قسماً من أقسام العلم العالمى ، إنه قسم منفصل قائم بذاته يختلف عن سائر الأقسام كل الاختلاف ، فإن سمة العلم السوفيتى الأساسية أنه قائم على فلسفة واضحة متميزة ، إن التحقيقات العلمية لا تزال فى حاجة إلى أساس ، وإن أساس علومنا الطبيعية ، الفلسفة المادية التى قدمها « ماركس » و « انجلس » و « لينين » و « ستالين » ، إنا نريد أن نخوض — وفى أيدينا هذه الفلسفة — فى معترك العلم الطبيعى العالمى ونصارع جميع التصورات الأجنبية التى تناهض فلسفتنا المادية الماركسية بكل عزم وقوة »(١) .

ومن المآسى التى تحير العقل وتجرح القلب أن تظل الأقطار الإسلامية وحدها فى فوضى تعليمية وغموض والتباس بل فى تناقض ومصارعة بين العقائد والحقائق التى تؤمن بها والغايات والأهداف التى خلقت لأجلها ، والرسالة والدعوة التى تحتضنها ، وبين نظام التعليم الذى تطبقه ، والنظريات التى تستوردها ، والأساتذة الذين لا يؤمنون بها ، وعلى الأقل لا ينشطون فى تدعيمها وتنميتها ، ولا تفكر فى التطبيق

---

(١) راجعوا كتاب (From Hitler to Brifber) .

بين العقيدة التى تتمسك بها وبين التعليم الذى تنفق عليه أكبر جزء من إمكانياتها ووسائلها ، مع أنها كانت بحملها الرسالة الأخيرة والعمل الأخير للإنسانية . أجدر بهذا التطبيق وأحرص على إزالة جميع العناصر التى تجنى على شخصيتها ومقومات حياتها ومستقبل أجيالها ، وأغير على عقيدتها ودينها من الشعوب الغربية ، بما فيها الشيوعية والرأسمالية ، والتى تتناولها دائماً بالتغيير والتحوير ، وتعيش هذه الأقطار متطفلة على مائدة الأمم الأجنبية والنظم الدخيلة . تقتبس منها وقد تطبقها بحذافيرها ، ولم تفكر إلى الآن فى إخضاع جهاز التعليم لرسالتها السماوية وعقائدها الثابتة وعلومها المعصومة عن الخطأ والضلال ، وإزالة جميع العقبات فى سبيل هذا الوئام والتعاون بين العلم والدين وتتصارعه القوى المضادة ، والموجهون المتنافرون . ويسيطر عليها الفصام النكد بين العلم والدين ، والصراع المستميت بين الحقائق الغيبية والمحسوسات المادية ، وبين الإيمان والشك ، وبين الإسلام والنفاق ، وبين الخلق والثبات ، والاستغلال والانتهازية .

وقد شعر بضرورة ذلك بعض علماء الغرب المنصفين فقال أحد كبار أساتذة الإسلاميات فى أمريكا (Charles L. Gedder) فى كلمة ألقاها فى ١٣ مايو عام ١٩٦٦ م فى كراتشى :

« إن الإسلام يملك جميع الخصائص التى تستطيع أن تنشر السلام والانسجام فى العالم ، إن الغرب يؤمل من المسلمين الذين يحملون الدين الذى أنزل الله ، وكان لهم ماض مجيد مشرق ، أن يقدموا

مبادئ الحياة وفلسفتها إلى الغرب ، وبذلك يستطيعون أن يحملوا راية السلام التي عينت لهم فى عالم الغد » .

وذلك لا يكون إلا بإنشاء الجيل المؤمن المثقف الذى يجمع بين العقيدة والعلم ، ويؤمن بخلود رسالته وصلاحيتها لكل جيل وعصر ، وأنها هى المنقذة للعالم من النهاية الأليمة التى ترتقبه ومن المستنقع الذى يتردى فيه ، وذلك لا يمكن كما لا يخفى إلا بوجود نظام للتربية يقوم على تطبيق بين العقيدة والثقافة ، وبين قوة العاطفة وإشراق الروح والتهاب جذوة الإيمان ، وبين العلم الواسع والفكر النير ؛ ومعرفة أحداث ما وصلت إليه الأجيال البشرية من تجربة واكتشاف .

وقد بدأت عملية تطوير المناهج لهذا الغرض ، وسبك منهج تعليمى جديد يتغلغل فى أحشائه الإيمان بالله ويسيطر على جميع فروعه وجزئياته ، بعض الأوساط العلمية فى الشرق ، أضرب مثلا بما يقوم به صديقنا الفاضل الدكتور رفيع الدين(١)رئيس مجمع إقبال فى كراتشى سابقاً ؛ وأقدم إلى معاليكم بعض النشرات التى صدرت من المؤسسة التى أسسها ويقوم بإدارتها .

إنه مشروع ضخم يتطلب ثورة فى التفكير ومغامرة فى المساعى والجهود ، ومثابرة تنهك القوى وتستنفد المجهود ، ولكنه عمل تجديدى

(١) مع الأسف الشديد مات الدكتور قبل أن يكمل مهمته فى حادثة فى كراتشى سنة ١٩٦٩ م ، وكانت خسارة عظيمة فى مجال الفكر الإسلامى والتخطيط التعليمى ، رحمه الله وأثابه .

من أعمال الإصلاح والتربية ، وأكبر خدمة للإسلام والمسلمين فى هذا العصر ، والذى يقوم به يستحق شكر الأجيال القادمة ، وأردد قول بديع الزمان الهمذانى ، وأقول : « إنه فتح تتضاءل أمامه الفتوح ، وتثنى عليه الملائكة والروح » والعالم الإسلامى يتطلع إلى العملاق الذى يقوم بهذا العمل ، فإنه يؤثر فى مصير هذه الأمة ما لا يؤثر غيره .

وأقدم إليكم العناصر التى تنافى هذه الغاية وترزأ هذه الأمة فى شخصيتها وكيانها وسلامة تفكيرها :

١ - استيراد المناهج الدراسية والمواد التعليمية من الخارج .

٢ - استيراد الأساتذة والمعلمين من أوربا وأمريكا ، الذين أقل ما يقال فيه أنهم لا يستطيعون بحكم عقيدتهم وفلسفة حياتهم وثقافتهم الأجنبية أن يخلصوا فى إنشاء الجيل الجديد ، على العقيدة الإسلامية والعقلية المؤمنة ، ويتحمسوا فى تبليغها وإقناع التلاميذ بها .

٣ - إرسال البعوث إلى الخارج للتوسع فى الدراسات والتضلع من اللغات ، إن هؤلاء الشباب الغض الطرى الذين لم ترسخ فيهم العقيدة ولم تنشأ فيهم روح المقاومة والصمود ، يخضعون للمحيط الأجنبي القاهر الذى لا يثبت فيه إلا النادر من الأقوياء المحنكين ويفقدون شخصيتهم ويعودون إلى بلادهم مضطربين حائرين ، إذا لم نقل مارقين منافقين ، يحدث ذلك اضطراباً فى المجتمع وصراعاً فى الفكر وقدوة غير صالحة ، وقد بدت طلائعه فى المجتمع العربى الإسلامى .

٤ ــ الاهتمام الزائد باللغات وإعطاؤها أكثر من حقها فإنها تنمو وتتوسع على حساب اللغة العربية والمواد الإسلامية ، والإكثار من دراسة اللغات الأجنبية وتدريس عدة لغات فى وقت واحد قد أصبح موضع جدل وبحث عند خبراء التعليم ، وخصوصاً فى المراحل الابتدائية والمتوسطة . وقد بدأ فى كثير من البلاد الشرقية اتجاه إلى إقصاء اللغات الأجنبية عن مناهج التعليم فى شىء من المبالغة والعصبية ، وقد قرر خبراء التعليم فى بلادنا (الهند) التقليل من قسط اللغة الإنجليزية مع أنها قد أصبحت لغة التفاهم بين الولايات ولغة الصحافة والبرلمان ، وبلادنا العربية أحق بالغيرة على لغتها العربية المعجزة من هذه البلاد الشرقية الإسلامية وغير الإسلامية ، ويجب التفكير فى هذه القضية من جديد أو تقرير شىء يقى هذه البلاد المقدسة التى هى منزل الوحى ومولد اللغة العربية ، من غزو هذه اللغات الأجنبية التى أصبحت تنافى لغة القرآن ولغة الأمم وتسخر عقول الشباب وتستهويها استهواء أصبح خطراً ملموساً فى كل طبقة ومستوى.

٥ ــ إقصاء الأساتذة الذين يؤمنون بمذاهب دخيلة وفلسفات هدامة ولا يؤمنون بأن لهذه البلاد رسالة ودعوة ، وأن هذا الجيل الذى ينشأ فى هذه المدارس هو وارث الجيل الإسلامى الأول الذى حمل مشعل الإسلام إلى الآفاق البعيدة ، واستمات فى سبيل العقيدة والدعوة ، وإنه يرتجى منه أن يكون جيلا مثالياً للمسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها ، وإذا لم يكن لإنسان يؤمن بالمبادئ الرأسمالية ويحمل

دعوتها حق فى أن يكون معلماً وموجهاً فى مدرسة صغيرة فى البلاد السوفيتية ، وإذا لم يكن لأكبر عالم شيوعى حق فى أن يكون معلماً أو مديراً لمكتب أو شركة فى أمريكا ، فكيف يجوز للأساتذة الذين لايؤمنون بخلود الرسالة الإسلامية ونبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكونه رحمة للإنسانية ، ودينه سفينة نوح فى كل عصر ، ولا يؤمنون بفضل الشريعة الإسلامية وصلاحيتها لهذا العصر ، ولا يؤمنون بالقرآن ولا يؤمنون بالحاجة إلى الإيمان ،وهم دعاة مخلصون لمذاهبهم وفلسفاتهم. من التعلم إلى الاقتصاد والسياسة والأخلاق ، كيف يجوز لهم أن يكونوا أساتذة مربين وقادة موجهين فى قلب العالم الإسلامى وفى معقل الإسلام وحصنه ، هذا شيء لا يقبله عقل ولا منطق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المخلص

أبو الحسن على الحسنى الندوى

أمين ندوة العلماء لكهنؤ (الهند)

وعضو المجلس التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى

مكة المكرمة

٢٧ — رجب ١٣٨٧ ه

مسئولية أمراء العرب فى أطراف الجزيرة والخليج العربي
فى المحافظة على سلامة البلاد، ووحدتها الدينية

(من كتاب إلى صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح
أمير دولة الكويت سابقاً)

(زار كاتب هذه السطور الكويت فى شعبان ١٣٨١ ﻫ (يناير ١٩٦٢ م) ، وأقام فيها عدة أسابيع محفوفاً برجال العلم والأدب والثقافة والدين ، وقابل أمير البلاد ، صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح ، ودرس أوضاع البلاد واطلع على مشاريع تقدمها ونهضتها ، ونظر إلى البلاد نظرة مسلم واع محب للبلاد وأهلها ، دارس للتاريخ ولما مرت به البلاد العربية كلها من مراحل تجريبية وسياسية وحضارية ، وكتب فى ضوئها هذا الكتاب الذى قدم إلى سمو الشيخ وقرأه واطلع على ما فيه .

وفيما يلى نص هذا الكتاب الذى بقيت صورة منه محفوظة فى أوراق الكاتب) .

حضرة صاحب السمو الشيخ عبد الله السالم الصباح أمير دولة الكويت المعظم .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله العلى العظيم ، والصلاة على نبيه المختار الذى أكرم الله به العرب وأنقذ الإنسانية وأسعد العالم، وبعد ، فأرى من الحق الواجب على كزائر مسلم ، أن أبدى سرورى وإعجابى بما رأيته من عنايتكم الفائقة بتقدم البلد ورخاء الشعب ، وبما وصل إليه الكويت فى مدة قريبة من العمارة والحضارة والازدهار ، وقطع شوطاً واسعاً فى عهدكم الميمون وتحت إشرافكم الكريم ورعايتكم الأبوية ، متع الله بحياتكم وعطفكم البلاد والعباد .

وضناً بوقتكم الثمين أتقدم ببعض ملاحظات ومعروضات إلى سموكم فى أدب واحترام يليق بمقامكم السامى ، وفى إيجاز نظراً لأشغالكم وما أخذ تموه على عاتقكم من مسئولية وخدمة .

الأمر الأول : أن الله سبحانه وتعالى قد منح سموكم فرصة نادرة فى التاريخ ، تستطيعون أن تمثلوا دوراً خالداً يذكر ويشكر ، وهو ملء أروع فراغ فى مدنيتنا الحاضرة ، وذلك الفراغ هو فقدان دولة

تجمع بين الدين والمبادئ ، وبين الوسائل والمادة ، وفقدان مجتمع يجمع بين الإيمان والأخلاق ، وبين اتصال بالعالم المعاصر والاستفادة بالتجارب الجديدة ، وذلك فراغ لا تملؤه الآن أكبر دولة فى العالم ، وكل من يمثل هذا الجمع النادر بين الدين والمدنية هو رجل الساعة المنتظر ، وكل دولة تظهر بهذا الشعار هى دولة تحتل المكان الأول معنوياً فى قائمة الدول والحكومات ، وتتمتع باحترام لا تتمتع به أعظم دولة فى العالم ، هذا عدا النصر والتأييد الإلهى والبركات الكثيرة والحب العام الذى وعد الله به عباده المؤمنين الصالحين الذين يستخلفون لهذا الدين ، ويحتضنون رسالته ويجاهدون فى سبيلها .

والوسائل لتحقيق هذا الغرض متوفرة ، والفرصة سانحة ، والأمر ميسور ، إذا صحت العزيمة وقويت الإرادة «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم» .

والأمر الثانى : أن الله سبحانه وتعالى قد قضى منذ بعث رسوله صلى الله عليه وسلم أن لا نهضة للعرب ولا سيادة ولا وحدة ولا حل لمشكلاتهم ، إلا عن طريق هذا الدين وعن طريق محمد صلى الله عليه وسلم ، والتاريخ يشهد لذلك، والحوادث الجديدة قد برهنت عليه ، فكل من يحاول أن يضعف صلة الأمة العربية بمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم ، أو يحدث عنها كأمة مستقلة كانت قبل محمد صلى الله عليه وسلم وكانت بعده ، وستظل قائمة بمواهبها وإمكانياتها

وتبنى كيانها على أساس آخر ، أقدم من البعثة المحمدية أو جديد ، فهو يجنى على الأمة العربية جناية لا تعدلها جناية وجريمة ، ويقتلع من نفسها جرثومة الإيمان ويزلزل عقيدتها ، ويهدم ما بناه المصلحون والمخلصون ، وما بنته الأمة العربية فى قرون ، ولا يستحق تشجيعاً من دولة عربية مسلمة ، فهو أعدى عدو لها ، وهو الذى يقطع صلتها عن ماضيها وعن دنيا الإسلام الواسعة ، وينضب معينها من غير تعويض يكافئ هذه الخسارة العظيمة ، ومثل سموكم فى غنى عن الشرح والتفصيل .

والشىء الثالث : هو توجيه المعارف فى البلد الإسلامى العربى توجيهاً إسلامياً مؤسساً على تفكير أعمق ، وتصميم خاص يتفق مع رسالته وعقيدته ، إذ « المعارف » هى مربية للأجيال القادمة . وعليها يتوقف مستقبل هذا الشعب الدينى والخلقى واتجاهه وتوجيهه للمدنية ، ومنع الميوعة والتفسخ الخلقى فى الشباب والنشء لأنه ما دخل فى أمة إلا ضيعها وأذلها وأضعفها ، وهو يعارض الاستقامة التى يطلبها الدين ، والفروسية التى تقتضيها العروبة ، الأمر الذى تحرصون عليه سموكم ولا شك .

والشىء الرابع : الذى تشكرون عليه هو مساعدة الشعوب المسلمة وتكميل مشروعاتها التى لا بقاء لها بغيرها ، بما يفضل عن تقوية شعبكم الكريم وتنظيم شئونه ، فى ذلك تقوية لشعبكم ، وزرع للحب فى النفوس وشكر على نعمة الله العظيمة .

والشيء الخامس : هو الحذر من قيام المعابد لغير المسلمين فى أرض هذه الجزيرة التى ولاكم الله أمرها واستخلفكم فيها ، فإن وجود هذه المعابد فى هذه الجزيرة التى أوصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بتجريدها للإسلام والمسلمين وعقيدة التوحيد الخالصة وعبادة الله وحده ، التى جاء بها الإسلام ، وإخلائها من اليهود والنصارى الذين هم من أهل الكتاب فضلا عن عباد الأوثان ، وقد صح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حتى لا أدع فيها إلا مسلماً » وقال فى آخر كلامه فى الدنيا : « لا يبقين دينان على أرض العرب » وقالت عائشة رضى الله عنها : « كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : « لا يترك بجزيرة العرب دينان » ووجود هذه المعابد خطر على سلامة هذه البلاد ، فإن أهلها يطالبون بحمايتها ويستغلون وجودها ، فتنشأ مشاكل يعجز العقلاء عن حلها .

كذلك الحذر من تضخم عدد الأقليات غير الإسلامية والجاليات الأجنبية واستفحال أمرها وقوة مركزها ، وتملك هذه الأراضى ، فإنها ستنشئ دولة فى ضمن دولة ، وقضايا معقدة تدع الحليم حيران .

وفى ذكاء سمو الأمير وبعد نظره وتجارب البلاد والأمم ما يغنى عن تفصيل هذا الإجمال وعن الإطناب فى هذا الموضوع .

وأرجو المسامحة فى هذه الجراءة التى لم يكن دافعها إلا الإخلاص والدين .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الداعى لحياتكم ونصركم

أبو الحسن على الحسنى الندوى

الكويت

٢٢ شعبان ١٣٨١ هـ

كيف ينظر العالم إلى جزيرة العرب وماذا يؤمل منها

، (طلبت الإذاعة السعودية التى كان مقرها فى مكة عام ١٣٦٩ ﻫ ... (١٩٥٠) أن يذيع صاحب هذا الكتاب سلسلة أحاديث من الإذاعة السعودية ، يسمعها المستمعون فى داخل الجزيرة وخارجها ، فيها أدب ودين ، ورسالة وتوجيه .

وانتهز المؤلف هذه الفرصة الثمينة للتحدث إلى أبناء هذه الجزيرة ، وإخوانه فى الدين والعقيدة ، ومحط آمال المسلمين جميعاً ومطمح أنظارهم ، وهو لا يراهم ولا يعرف أكثرهم ، فينقل إليهم آلامه وآماله ، ويعبر لهم بشعور العالم الإنسانى نحو مسئوليتهم ودورهم فى بناء الإنسانية وإغاثتها ، فضلا عن العالم الإسلامى الذى ظهر إلى الوجود بدعوتهم وكفاحهم ، فكتب هذا الحديث الذى أذيع من دار الإذاعة السعودية بمكة المكرمة بعنوان « من العالم إلى جزيرة العرب » وتلاه حديث آخر من « الجزيرة العربية إلى العالم ، فكان حواراً صريحاً بليغاً بين العالم والجزيرة ، تلخص فيه ما تحويه الكتب الكبيرة من مشاعر وأفكار ، وحقائق ووقائع ، تذكر كلا من الطرفين بمسئوليته وواجبه ، وتحفزهما على الكفاح والنهوض بالرسالة .

وإلى القراء الحديث الأول الذى له صلة وثيقة بموضوع هذا الكتاب والغاية منه) .

فرصة سعيدة يا جزيرة العرب ، لى معك اليوم حديث خطير قد خبأته لك من زمان وصرفتنى عنه خطوب ونوائب شغلت خاطرى ، إلا أن هذا الحديث قد ملك قلبي وثقل على نفسى فلم أر اليوم بدًا من أن أفضى به إليك ، وأتنفس مما أجده من الضيق والألم .

زهدنى فى هذا الحديث ما كنت أراه من انسحابك من الحياة وتنزلك عن القيادة التى تبوأتها زمناً غير يسير ، وما كنت أراه من رغبتك فى العزلة عن العالم وما يقع فيه من حوادث ، وما يتجدد فيه من شئون ، وكرهت أن أزعجك وأقلق بالك ، وقلت : لقد رقدت الجزيرة بعد سهر طويل سهرته فى مصلحتى ، واستراحت بعد عناء كبير تحملته فى سبيلى ، فلا ينبغى لى أن أوقظها وأقض مضجعها ، ولكن الخطب كان أجل من ذلك وأعظم ، ولم أر مفزعاً بعد الله إلا إليك . وقلت : لقد وجدت فى هذه الجزيرة غوثاً ونجدة قبل ثلاثة عشر قرناً ، وقد أحيط بى يومئذ ، فعسى أن أجد فيها فرجاً وروحاً مرة ثانية .

أراك أيتها الجزيرة العزيزة تنظرين إلى نفسى نظرة الحياء ، وتلقين على نفسك نظرة الازدراء ، تنظرين إلى تقدمى فى الصناعة والاختراع . وإلى تسخير الإنسان للبخار والكهرباء ، وتسخير الطاقة الذرية فى

الزمن الأخير ، وتقولين فى شىء من الخجل والاعتراف ، وفى شىء من الجراءة والشجاعة : لقد تقدم العالم بعد ما خرج من حضانتى تقدماً مطرداً وقطع أشواطاً بعيدة فى العلم والمدنية ، هونى عليك أيتها الجزيرة فإن هذا الإنسان الطائر فى الهواء ، العابث بأمواج الأثير لا يزال طفلا صغيراً فى أخلاقه وفى شعوره الاجتماعى وفى عناده وقصور نظره وأثرته ، وإيثاره الصور والأشكال على الحقائق والمعانى ، وافتنانه بالمهازل والملاهى ، فلو علمت أيتها الجزيرة ما وراء الأكمة لهان عليك الخطب ، وعلمت أن الإنسانية لا تزال حيث خلفتها ، وأن الإنسان وإن أصبح يطير فى الهواء كالطير ، ويسبح فى البحار كالسمك ، فإنه لا يحسن أن يمشى على الأرض كإنسان .

أراك أيتها الجزيرة تنظرين بدهشة واستغراب إلى معاهدى العامرة وإلى مكتباتى الزاخرة ، ومطابعى المتدفقة ، وحركة التأليف والنشر القوية ، وإلى هذا الأدب الخصيب الذى يطلع كل يوم بشىء جديد ، ولكن لا تعجلى ، إن روح هذه الحركة التجارة والاستغلال ، وإن كثيراً من حملة الأقلام يتاجرون بأخلاق الناس وضمائرهم ويحبون أن تشيع الفاحشة فى المجتمع وتروج بضاعة الخلاعة والاستهتار ، ولاتستغربى إذا حدثتك أن كبار المثقفين والأدباء عندى لا يفضلون فى الأخلاق والصبر على مكاره الحياة والعزوف عن الشهوات وإنكار الذات ، على الأعراب الذين يضرب بهم المثل فى الجفاء والجهل والأمية .

أراك أيتها الجزيرة تصغين إلى الكلمات الرنانة التى تلوكها ألسنة

السياسيين ، وترددها أقلام الصحفيين ، كالعدالة الاجتماعية والمساواة والحرية والجمهورية ، كأنك تسمعين كلمات لها معنى وتطبيق فى الحياة كما حدث العالم من قبل بكلمات صادقة يوم كان اللفظ دليلا على معنى ، ويوم كان الإنسان يرى نفسه مأخوذاً بقوله .. هيهات لقد تقدم الزمان وأصبح كثير من الكلمات لا يقصد بها معنى ولا تراد بها حقيقة ، رحم الله من اعتمد على الكلمات ورحم الله من صدق أهلها فيما يقولون .

أراك أيتها الجزيرة تنظرين إلى فتغبطينى على ما تعتقدين عندى من صفاء وسرور وراحة ، ونعيم وهدوء وسلام ، لقد استسمنت يا هذه ذا ورم ، أنا جسم قد علتنى أورام غير طبيعية فظننى الجاهل صحيحاً سليماً ، مع أنى مريض دنف أشكو فى كل عضو من أعضائى أوجاعاً وأوصاباً ، أشكو فى قلبى وجعاً ، وفى رأسى صداعاً ، وفى عينى رمداً ، وفى دمى نزفاً ، وفى نفسى اختلالا ، تارة أصاب بطوى وجوع تكاد تزهق له نفسى ، وأخرى ببطنة وتخمة تكاد تقضى على وتقتلنى ، وقد اجتمع حولى متطببون ومشعوذون يعالجوننى بالأمراض ويداوون الداء بالداء ، وبعمليات جراحية خرقاء ، لقد قتلونى قاتلهم . عالجوا مشاكل الاقتصاد بحركة منع الولادة ، وسوء التصرف فى المال بتحريم الملك الشخصى ، واستبداد الأحزاب واحتكار الأفراد باحتكار الشركات ... والرأسمالية الجائرة بالاشتراكية المرهقة ، والاشتراكية العمياء بالجمهورية العوراء ، لقد داووا

جوراً بجور وظلماً بظلم ، وإسرافاً بإسراف ، وجهلا بجهل ، وعلة بعلة ، فزادونى مرضاً على مرض وضعفاً على ضعف .

إليك جئت أيتها الجزيرة العربية بما معى من أدواء وأوجاع وقد فضحت أمامك نفسى ، وكشفت سرى فهل تغيثيننى وتسعفيننى كما أغثتنى بالأمس وأنقذتنى من الموت الأحمر ، فلست اليوم بأقل حاجة إلى إسعافك وإنجادك ، من يوم بعث رسولك وأشرق على نورك ! !

لا تغرنك أيتها الجزيرة منى مظاهر المدنية الجوفاء ، وهذه الطائرات المحلقة فى الهواء ، وهذه الناطحات للسماء ، وهذه الآلات التى ملأ صوتها الفضاء ، فيسهل على أن أتخلى من كل كنوزى وأتنازل عن كل ما تنظرين إليه نظر الغبطة والطمع وأستبدل بها ما قد فقدته من الإيمان الذى جاءت به الأنبياء والرسل، والذى فقدت معه قوتى وحرارتى وشخصيتى وروحى ، وأصبحت جسداً ميتاً قد يطفو على الماء وقد يحمله الهواء .

نفسى فداؤك ياجزيرة العرب. خذى منى ما شئت من سيارات وقطر وطائرات ، وماكينات وآلات ، وزخارف وأدوات ، وتصدقى على بهذا الإيمان الذى لا أجده فى أسواقى ولا تنتجه مصانعى ، على كثرة ما تنتج وعلى غرابة ما يخرج منها ، ولم أكتسبه من مكتبتى الواسعة ، ولا يفيدنى إياه فلاسفتى ومفكرىَّ وكتابى وزعمائى ، إنما أفاده العالم « أمى » لا يزال فى أحضانك ، فعاش هذا العالم بعد ما كان ميتاً وأبصر بعد ما كان أعمى ، وتماسك بعد ما كان

متزعزعاً ولم يصب أحداً شيء من هذا الإيمان إلا عن طريق هذا النبي الأمى ، ولن يصيب أحداً إلى آخر الأبد إلا عن طريقه ، لذلك جئت سائلا ، فلا تنهريني ولا تردينى خائباً !

أنا أيتها الجزيرة حائر تائه ، قد تكدست عندى آلات وأدوات ووسائل ، ما عرفت كيف أصنع بها وكيف أستعملها ، فإنى إلى الآن لم أعرف ما غاية هذه الحياة وما نهايتها ، ومن خالق هذا الكون ، ولأى شيء خلقه وما مركز هذا العالم وما روح هذه الحياة ؟! وما هذه الآلات والمصنوعات بل ما هذه القوى المودعة فى هذا الكون وهذه الخيرات المنبثة على الأرض إلا كسراً من كسور هذا العالم الكبير ، فمن كان حائراً تائهاً فى هذا المجموع الكبير كان خليقاً بأن يكون حائراً تائهاً فى كسوره ، متخبطاً فى استعمالها قد يستعملها فى خير ، وقد يستعملها فى شر ، وطالما يستعملها بلا غاية ، والغايات لا طريق إلى معرفتها إلا الأنبياء والمرسلون ، أما المكتشفون والصناع فإنما موضوعهم الآلات والصناعات ، ولما تفردت بالوحى تفردت بالغايات ، ولما عنيت بالصناعة والاكتشاف تفردت بالآلات والمصنوعات ، وبانفصالنا شقيت الإنسانية ، فهلمى يا مهد الإيمان ويا مهبط الوحى نتعاون على سعادة الإنسانية وصالحها ، فأنجدى العلم والصناعة بالغايات والروح والإيمان ، وأنجدى الدين بالآلات والوسائل ، حتى تسير الإنسانية رشيدة الغاية سديدة الخطى ، على جناح السرعة والقوة ، فبك نستفيد صلاح الغاية وصحتها ، وبى نستفيد سرعة الوصول إلى هذه الغاية الرشيدة .

جودى على أيتها الجزيرة بنفحة من نفحات محمد صلى الله عليه وسلم أحل بها مشاكل حياتى وألغاز مجتمعى ، وأحيي بها موات قلبى وأطفىء بها جحيم المادة التى أحاطت نيرانها بهذه المدنية وبكل فضيلة إنسانية ، وقد هبت نفحة منك فى القرن الإسلامى الأول فحولت هذا العالم الفسيح من جحيم إلى نعيم ، وقد استدار الزمان كهيئته يوم بعث الله نبيه ، فعودى على هذا العصر بنفحة جديدة تنفخ فيه روحاً جديدة وتبعث هذا العالم بعثاً جديداً !

إنك تجودين على أيتها الجزيرة العربية بمقدار عظيم من البترول أدير به ماكيناتى وأسير به عجلاتى ، فأنا أدين لك بالفضل وأشكر صنيعك ،ولكنى كنت أنتظر منك — أيتها الجزيرة السعيدة ، يا مولد نبي الرحمة — شيئاً أعز وأثمن من الذهب الأسود ، كنت أنتظر منك أن تخرجى لى عجلة الحياة التى غاصت فى الوحل ، وأن توجهها التوجيه الصحيح ، وأن تخلصى ركابها من هذا المأزق ، فقد عجزت حكمة الحكماء وصناعة الصناع من إخراجها ، فأخرجيها بما معك من حكمة النبوة وبقية قوة الرسالة والإيمان واليقين ، وسيريها بنور الشريعة الإلهية والهداية الإسلامية .

وفى الأخير أقول : إنك يا جزيرة العرب قطعة منى يصيبك خيرى وشرى ، ويصيبك لفحى ونفحى ، ما يمكنك أن تعيشى منعزلة عنى ، فإن أدركتنى وأصلحت شئونى فإلى نفسك أحسنت ، أو لا ، فعليك وعلى أهلك جنيت !

فهرس الكتاب

رقم الإيداع ٢٣٠١ / ٧٩

الترقيم الدولى ٧ ـ ٠٥ ـ ٧٣١٨ ـ ٩٧٧